

بکیر عید عوشت

الإمام

أبراهيم بن يوسف

وجهاده الإسلامي

846

في الجزائر

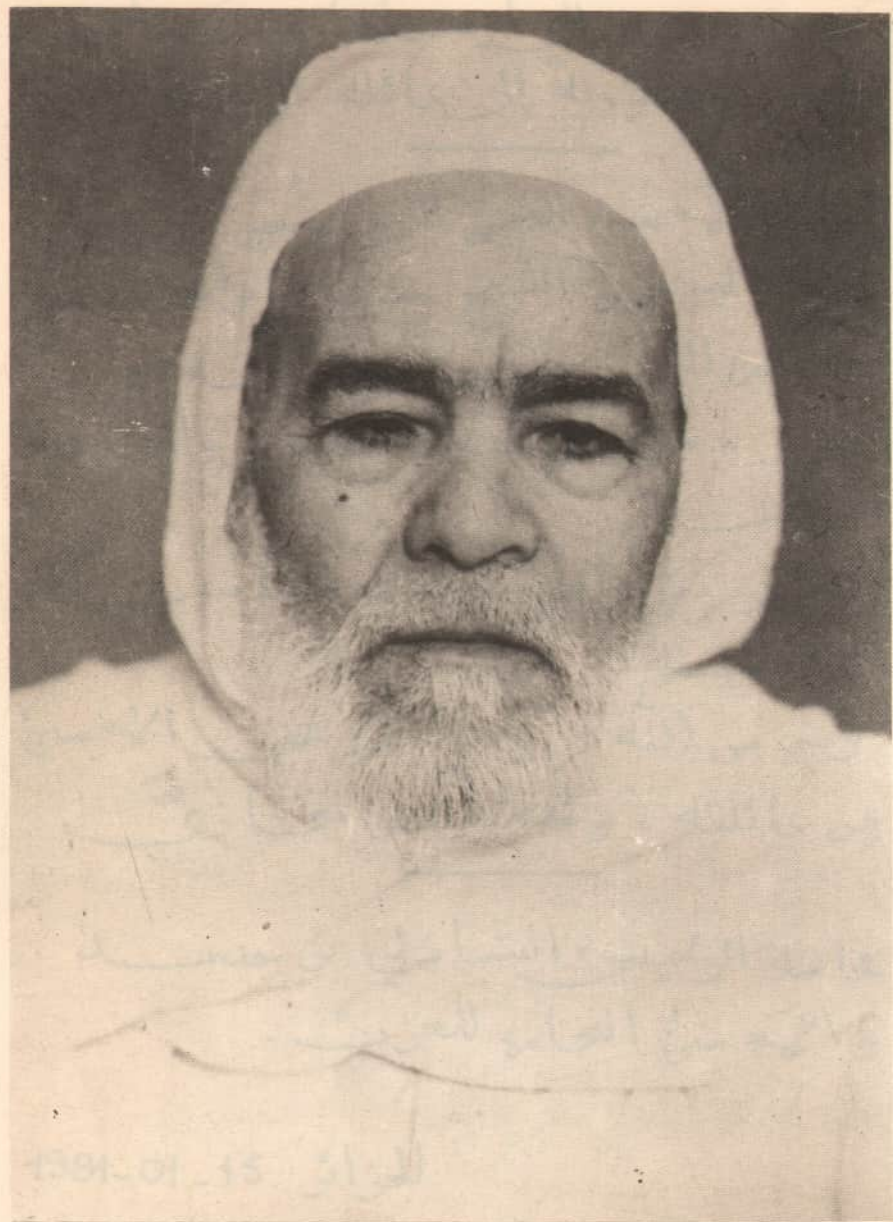
بکیر عید عوشت

الإمام

أبراهيم بن موسى

وجهاده الإسلامي

في الجزائر



مجلس العلماء
بجامعة القاهرة
الجامعة المصرية
القاهرة

1384-01-15

نص البرقية التي أرسلها سيادة
رئيس الجمهورية إلى عائلة الـ بيوض.

أمام الأمة سي الحميق الذي شعر من
أقرباء المرحوم الشيخ بيوض، إبراهيم
وأمام الذين يعرفون عمل حياته في
الجزائر، من خلال خدمته للدين والثقافة
الوطنية.

أعبر بكل عواطف في هذه المناسبة
القاسية.

نرجو من الله عز وجل أن تخفف الأمة سي
عن عائلته، ولهذا أقدم تعاذلي.

فخامة الرئيس الشاذلي بن جديد
والأمة مني العام للحزب.

الجزائر 15-01-1981

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من آمن بأن إصلاح المجتمعات البشرية ، لا ولن يكون إلا
بالقرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، مُجَسِّمًا هذه الفكرة الإصلاحية في
سلوكه قولاً وعملاً .
الى كل هؤلاء ، أُهدي إليهم هذه الصفحات المتواضعة .

مقدمة

في خضم الصراع الفكري القائم اليوم في العالم الإسلامي ، بين الأصالة الإسلامية الأصيلة ، والتبعية الإستلابية غربيةً وشرقيةً الهادفة الى تزييف وتعقيم الشخصية الاسلامية ثم إفراغها من قيمها الثابتة ، عقيدة وسلوكا ، وحضارة لخلق انشطارية فيها .

وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية في العالم الإسلامي كله ، فإن الإستعمار الفرنسي ، حاول بكل طاقاته الفكرية والمادية ، أن يصهر الشخصية الجزائرية المسلمة ، في بوتقة فرنسية خالصة ، لتكون خادمة له ، ومنفصلة عن هويتها الأصيلة . غير أن هذه المحاولة المتكررة التي ألبس لها عدة أقنعة ملونة مختلفة ، قد أصيبت بالفشل الذريع الى حد كبير جدا ، بفضل بعض العلماء المسلمين الجزائريين ، الذين ناهضوا الإستعمار الفرنسي ، وثقافته المرتبطة ، بمقولاته المادية والفكرية ، حيث قاوموه أشد المقاومة .

إن هذه المقاومة الفكرية ، يمكننا أن نسميها ونعرفها باليقظة والإختمار وإثبات الذات ، وهذه المرحلة الحاسمة هي التي مهدت وأوجدت المناخ العام لقيام ثورتنا التحريرية المجيدة التي حررت الجزائر من الاستعمار الصليبي .

وغني عن البيان أن الشريعة الجزائرية الإسلامية تختلف أشد الاختلاف مع الشريعة الفرنسية، فذلك أن الشخصية الجزائرية تقوم على ثوابت إسلامية واضحة وهي أركان الإسلام الخمسة ، القائمة على القرآن الكريم ، والسنة الشريفة .

ومن هذا المنحنى الاسلامي الخالص الثابت ، فإن الإنسان الجزائري ، قد اعتقد كل الاعتقاد ، بأن الدين الإسلامي هو الحصن المنيع لشخصيتنا ، إزاء التحديات الخطيرة بيننا ، وبين العالم الغربي الهادف الى تعقيم شخصيتنا وانطلاقاتها الحضارية حديثا . إن هذه الحقيقة الجوهرية ، قد أفرزتها وأكدها الحروب المتكررة على العدو الدخيل الغاصب ، الذي مرت به الجزائر عبر تاريخها النضالي الطويل منذ الاحتلال الى الإستقلال .

اعتمادا على هذا كله ، يجدر بنا ، أن نسلط الأضواء على الشخصيات الإسلامية الجزائرية التي لعبت دورا فعالا في إثبات أصالتنا ، ولولا هؤلاء ، والإنتفاضات الشعبية ، لما استطاعت الثورة الجزائرية التحريرية ، أن تجد الدعائم القوية في الأمة الجزائرية الإسلامية ، وهذه المقولة الفكرية الأصيلة ، قد جسمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ، خلال فترة تاريخية حاسمة من تاريخ الجزائر المعاصر ، رغم الطاغوت الإستعماري وأذنا به .

ومن هذا المنطلق التاريخي ، فإن الجزائر كانت وفيّة ،
لماضيها التاريخي ، ودينها الإسلامي ، ولغتها العربية ،
ووحدةها الترابية .

يقول في هذا الشأن الإمام عبد الحميد بن باديس
- رحمه الله .

شعب الجـزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
وفني عن البيان ، أن هناك عدة شخصيات إصلاحية جزائرية ،
قد ساهمت مساهمة فعالة مع الإمام ابن باديس رحمه الله ، في
إبراز الفلسفة الإصلاحية الجزائرية ، كالطيب العقبي ، وأبي
اليقظان ابراهيم ، والبشير الإبراهيمي ، ومبارك الميلي ، والشيخ
العربي بن بلقاسم التبسي ، وإبراهيم بيوض ، الخ .

ومما لا شك فيه ، أن هؤلاء ، قد تركوا بصمات قوية في الفكر
الجزائري المعاصر ، شماله وجنوبه ، شرقه وغربه .

والجدير بالملاحظة ، أن هذه الشخصيات لا تزال مغمورة الى
حد كبير ، بحيث لم تسلط عليها الأضواء الواضحة الكافية ،
للجمهور الجزائري والعالمي مبنية جهادها
الإسلامي ، ومنهجها الإصلاحي .

ووفاء مني لهذه المدرسة الإصلاحية الجزائرية ، أجد نفسي مدفوعا ، من خلال الروح العلمية التي تفرض نفسها فرضا على كل باحث نزيه ، يريد أن يميّط اللثام ، عن هؤلاء المجاهدين الجزائريين الذين ضحوا بالنفس والنفيس في أحلك الظروف الإستعمارية القاسية التي عرفتها جزائرنا المسلمة .

وفي ضوء هذه النظرة الموضوعية ، فإن هذه الدراسة الموجزة ، قد تبين بعض الجوانب وليس كل الجوانب في حق الإمام ابراهيم عمر بيوض - رحمه الله .

إلا أن هذه الدراسة المبسطة هنا ، لا تخلو من بعض الثغرات ، لأن هذا البحث المقتضب يعد في حقيقة أمره مدخلا ، لدراسة تاريخ المدرسة الإصلاحية في جنوب الجزائر ، لا سيما وادي ميزاب ، الذي ساهم بقسط عظيم في إحياء التراث الإسلامي الجزائري الأصيل ، وذلك حفاظا على حضارتنا ولغتنا وديننا ووطنيتنا .

وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية فإن الشيخ بيوض ، كان ركنا أصيلا في المدرسة الإصلاحية ، حيث قدم الشيء الكثير للأمة الجزائرية ، حفاظا على شخصيتها العربية الإسلامية الجزائرية ، وهو يؤكد دائما في جميع دروسه أن الإسلام هو القرآن

الكريم ، الذي يعد منهج الحياة للفرد والمجتمع ، فالقرآن الكريم لا يمكن فهمه إلا بتعلم اللغة العربية وعلومها وتاريخها ورجال الإسلام جملة وتفصيلا .

ورغم هذا الجهاد الإسلامي ، فإن هناك بعض النفوس تحاول بكل طاقتها أن تبني تاريخها الذاتي على حساب تاريخ الأمة الجزائرية كلها بدافع الإسقاط ، والتعويض ، والنقض ، والأدهى من هذا ، أنها شرعت تحرف وتزيف تاريخ أعلامنا الجزائريين ، زاعمة أنها تفقه كل التفقه حقيقة التاريخ وفلسفته إذ تعرف ظاهره وباطنه ، قديمه وحديثه ، جزءه وكله ، وهي بالتالي تملك ميزان التعديل والتجريح ومعاييره الرياضية الدقيقة التي لا يعزب عنها أي شيء في الوجود .

وفي هذه الحالة فإن جوابنا يكمن في هذا البيت الخالد الذي قاله إمام الشعراء : المتنبي :

وإذا أأتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن الحادثة التاريخية فردا أو جماعة مهما كانت ، فلن تخلو من بعض السلبيات ، ولكن هذه السلبيات لا تكون على حساب الإيجابيات ، وبهذا نستطيع أن نقول : إن كل ثورة تحريرية أو اجتماعية أو سياسية في هذا العالم المعاصر تعتمد

على حضارتها المادية والفكرية ، أساسا لبناء فلسفتها العامة في حاضرها ومستقبلها ومصيرها .

وحري بالمؤرخ أن يتقيد بالنقد الموضوعي والقيم الأخلاقية ، حتى يعطي الحادثة التاريخية حقها ، فقد صدق ابن خلدون في نقده للمؤرخين لما قال في مقدمته ص 61 ما يلي :

(ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع ، لأجل ما يداخلها من التلبيس والصنع ، فينقلها المخبر كما رآها ، وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه ، ومنها تقرب الناس لأصحاب التجلية والمراتب بالثناء والمدح . . فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون الى الدنيا وأسبابها من حياة أو ثروة .)

وأخيرا ، أرجو أن يكون هذا العمل مدخلا لاغير .

وهذا المدخل المنهجي قد يساعد من يقوم بالدراسات الجامعية المعمقة الشاملة في حق المدرسة الإصلاحية الجزائرية التي لعبت دورا جوهريا في المحافظة على هويتها الإسلامية .

وأتمنى أن أجد هذه الدراسات الموسعة في المستقبل إن شاء الله من قبل طلابنا وأساتذتنا . والله عز وجل لا يضع أجر من أحسن عملا خالصا في سبيل نصرته الحق .

أعوش بكيرين سعيد

غرداية 07 / 07 / 1987

الفصل الأول

عصر ابراهيم بن عمر بيوض

أ - الحياة السياسية في العالم الإسلامي والجزائر :إن القارئ ، حينما يتأمل العالم الإسلامي في بداية القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين ، يدرك أنه قد وقع تحت القيد الإستعماري الأوروبي ، وهذه الفترة تمتد من 1800 ، الى 1945 ، قد تميزت بالاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وظهور نزعات استعمارية قوية ، غربية وشرقية .

ومن الطبيعي جدا ، أن تنعكس هذه الحالة السياسية على العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه . فبريطانيا قد استولت على الهند والعراق ومصر والسودان . أما روسيا فقد بسطت سلطتها المتمثلة في الاستعمار الدائري على أواسط آسيا ، وأما إيطاليا فقد بسطت سلطتها على ليبيا والصومال والحبشة ، وأما هولوندا فقد استولت على أندونيسيا وأما فرنسا فقد أحكمت قبضتها على الشام وشمال إفريقيا وغربها .

وهكذا ، صار العالم الإسلامي خاضعا خضوعا كليا ، للعالم الأوروبي منذ القرن الثامن عشر الى نصف القرن العشرين .

وكان الاستعمار يبتز كل خيرات العالم الإسلامي ، مع تشويه وتزيف ثقافته الأصيلة وغرس ثقافة استلاية .

ومن هنا فإن الاستعمار قد حارب كل مظاهر الرفض التي قام بها المسلمون بين حين وآخر بكل قوة .

وانطلاقاً من هذا الموقف ، فإن فرنسا لم تذق الأمن الشامل في الجزائر ، منذ أن استوطنت الأراضي الجزائرية ، حيث وجدت شعباً ألبياً ، حاملاً السلاح عليها ، حتى الاستقلال ، ولكن هذه الحروب التحريرية تشدد وتضعف على حسب الظروف الداخلية والخارجية ، ابتداء من ثورة الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري ، الذي قاد الثورة المسلحة على العدو من سنة 1833 ، إلى سنة 1847 ، بيد أن الشعب الجزائري لم يضع السلاح من يده ، فاستمر في إشعال عدة ثورات وطنية وكان عددها سبعة عشر ثورة مسلحة ، ابتداء من ثورة بومعزة في منطقة الشلف (1846- 1847) وانتهاء إلى ثورة أولاد سلطان في الأوراس 1915 ، تلکم كانت عصارۃ الثورات الجزائرية التحريرية .

ولكن مع بداية القرن العشرين ، عرف الشعب الجزائري مُنحني جديداً ، تمثل في الأحزاب السياسية الجزائرية التي تأثرت بعدة عوامل متداخلة التي يمكننا أن نشير إليها بطريقة موجزة جدا .

1 - أثر الصراع المسلح بين الجزائر وفرنسا . . . الذي تجلى في الثورات التي قادها وفجرها الشعب .

2 - الاحتكاك الكلي بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي ، حيث أدرك الشعب الجزائري المسلم نفسية الاستعمار الفرنسي ، وأهدافه البعيدة والقريبة سياسيا ، واقتصاديا ، ودينيا ، وثقافيا .

3 - الهجرة : إن المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا الى فرنسا ، قد رأوا أن هناك تباينا واضحا جدا ، بين الشعب الجزائري والفرنسي في جميع المجالات الفكرية والمادية والاجتماعية ، وبالتالي ، فقد احتكوا بالتيارات السياسية ولا سيما اليسارية منها ، الراضية لأنواع الاستغلال الذي تقوم به الرأسمالية .

4 - الحرب العالمية الأولى والثانية : حيث دفعت فرنسا أبناء الجزائر ، جماعات ، تلو جماعات أخرى لخدمة فرنسا ، فهناك وعى الجزائريون كل الوعي المفارقات الجوهرية القائمة بين المجتمع الفرنسي المسيحي والمجتمع الجزائري المسلم ، فعلموا أن هناك معادلة قائمة على التناقض الواضح ، بحيث أن فرنسا تستهدف الدفاع عن مصالحها الحيوية الفكرية والمادية ، فإذا غيرت بعض مواقفها إزاء المسلمين الجزائريين ، فإن هذا التغيير

مرتبط بالشكل وليس بالجوهر مهما كانت طبيعة الإجراءات التي تدخلها فرنسا المسيحية .

5 - النهضة الشرقية : مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، بدأت بواكر النهضة الشرقية في تركيا ومصر والشام ، تؤثر تأثيرا عميقا في البنيات الإجتماعية الجزائرية ، لا سيما الطبقة المثقفة التي شعرت بأن النهضة الفكرية والإجتماعية والسياسية والاقتصادية لن تكون الا من خلال العلوم المادية والفكرية .

ومن هنا ، شرعت هذه الطبقة المثقفة تدخل المدارس والمعاهد الموجودة في الجزائر وتونس والشرق العربي وفرنسا .
وغني عن البيان أن نسبة المثقفين الجزائريين المسلمين ، تعد ضئيلة بالنسبة إلى أبناء الاستعمار الفرنسي .

ومهما كان الأمر ، فإن هذه الطبقة المثقفة ، قد سلكت مسلكا سياسيا ، واعتبرته هو الطريق الوحيد ، لبناء الشخصية الوطنية الجزائرية ، وإخراجها من الإنشطارية التي تتخبط فيها ، بين الأصالة الإسلامية ، والتمسيح الفرنسي .

وعلى هذه الصورة الإزدواجية ، تكونت عدة أحزاب جزائرية تأثرت الى حد كبير بالنزعات السياسية الموجودة في المشرق

وفرنسا مع إرهابات جزائرية خالصة ، ولهذا يمكننا أن نشير الى أهم الأحزاب الجزائرية باختصار :

1 - حزب الشباب الجزائري بزعماء الأمير خالد وهو يدعو الى المساواة التامة مع الفرنسيين ، والمحافظة على الشخصية الجزائرية الاسلامية ومقوماتها الأساسية .

2 - فيدرالية نواب مسلمي الجزائر : التي أنشئت في سنة 1927 ، بزعماء الدكتور التهامي ، وهذا الحزب ، قد دعا الى المساواة التامة مع الفرنسيين ، وبالتالي تجنيس الأمة الجزائرية بالجنسية الفرنسية .

3 - الفيدرالية الشيوعية الجزائرية التي أنشئت سنة 1924 ، بزعماء الفرنسيين الجزائريين . ومن هنا فإن بعض الجزائريين قد انخرطوا في هذا الحزب ، لا سيما حاج علي عبد القادر ومحمد بن الأكل ، إلا أن الحزب الشيوعي الجزائري ، يعد امتدادا طبيعيا للحزب الشيوعي الفرنسي وهو يرى أن الإستعمار الفرنسي مظهر من مظاهر الإستغلال ولا يمكن إزالته إلا من خلال حكومة عمالية ثورية ، تزيل مظاهر الحيف بفضل نضال الطبقة العمالية الواعية ولكن هذا الحزب لم يستقطب الجزائريين إلا قليلا منهم .

4 - حزب الشعب الجزائري : لقد أسس حزب الشعب الجزائري في باريس سنة 1937 ، بزعامة مصالي الحاج وذلك بانحلال حزب نجم شمال افريقيا .

أما أهداف هذا الحزب ، فهي تتلخص فيما يلي :
أ - الاستقلال الكامل والشامل للجزائر وإجلاء القوات الفرنسية من التراب الوطني الجزائري .

ب - إنشاء المدارس العربية الإسلامية .

ج - إبراز الشخصية الإسلامية الجزائرية .

د - حرية الصحافة والأحزاب السياسية .

5 - جمعية العلماء المسلمين : لقد اهتم علماء المسلمين المصلحين بإصلاح الأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية في المشرق العربي ، وكان يحمل هذه البذرة الإصلاحية المعاصرة جمال الدين الأفغاني وأنصاره محمد عبده ورشيد رضا ، فإن هذه الدعوة الإصلاحية قد وجدت تربة خصبة في الجزائر وذلك بالاحتكاك المباشر ، وغير المباشر بآثارها الفكرية ، لا سيما جريدة العروة الوثقى ، التي كانت تصدر بباريس ، إضافة الى هجرات طلبة الزوايا الجزائريين الذين أمموا جامع الزيتونة والقرويين والأزهر ، وكان من الطبيعي أن هؤلاء الطلبة بعد أن

يكملوا دراساتهم الجامعية أن يردوا الاعتبار الى أصلتهم الإسلامية التي حاول الاستعمار الفرنسي طمسها .

وفي ضوء هذا المفهوم الإسلامي ، تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وذلك في شهر ماي 1931 ، والهدف من هذه الجمعية المحافظة على الشخصية الإسلامية الجزائرية عقيدة وسلوكا وأخلاقا ولغة .

والقصد من هذه الجمعية كما جاء في الفصل الرابع من قانونها الأساسي هو : محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل .

إذن فهذه أهم التيارات السياسية التي ظهرت في الجزائر .
وغني عن البيان أن هذه التيارات قد وجدت في وادي ميزاب مجاهدين وأنصارا مخلصين ، ملتزمين بمصلحة الوطن العام قبل مصلحة الذات ، دفاعا عن الإسلام ومصير الجزائر كإبراهيم غرافة .
لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أبا اليقظان (1882 - 1973) يعد بحق زعيما وعميد الصحفيين الجزائريين .

لقد اعتمد على الصحافة طريقة لإبراز إحساس وشعور الأمة الجزائرية والعالم الإسلامي في قضاياها السياسية والاجتماعية والدينية .

يقول في حقه الإمام عبد الحميد بن باديس : (بحق يعد ركنا من أركان نهضتنا الفكرية والإصلاحية ، وزعيم الناهضين من إخواننا الميزابيين ، وهو في سبيله هذا يتلقى الأذى القولي والفعلي من خصوم عديدين متنوعين) (الشهاب : عدد 155 - 1927/9/29) .

وهذا الجهاد الإسلامي والوطني ، قد تجسم عند الوطنيين الغيورين مثل شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا (1908 - 1977) ، الذي عبر تعبيرا صادقا عن آمال وإحساس وكفاح الشعب الجزائري في جميع مراحل الحزبية والكفاحية والبناء . وأحسن دليل على ذلك أنه سخر شعره وفجّره في قلوب الملايين من الشباب الجزائري للرد على تيارات التجنيس والإدماج وفقدان الذات الجزائرية الأصيلة .

وفي سنة 1936 وضع نشيد فداء الجزائر لحزبه نجم شمال إفريقيا .

وإن هذا النشيد أسمى نشيد الجماهير الشعبية كلها ، لأنه يعكس عواطف المواطن الغيور على دينه الإسلام ولغته العربية ووطنه الجزائر .

إن هذه الحقيقة الوجدانية والوطنية نلمسها بكل يقين في هذه الأبيات التالي :

يقول مفدي زكريا :

فداء الجزائر روعي ومالي ألا في سبيل الاستقلال
فليحيا حزب الاستقلال ونجم شمال افريقيــــــــــــا
وليحيا شباب الشعب الغالي مثال الفدا والوطنية

أما في الثورة التحريرية ، فقد امتزجت دماؤه بدماء الشهداء
في الجبال والمدن والسجون والمعتقلات ثم شاهد رؤوس الفدائيين
تحصد بعينه ولولا قضاء الله ولطفه لحصدت رأسه في سجن
بربروس سنة 1956 ، . وإن إيمانه الوطني العميق الصادق الثابت
دفعه أن يكتب بدمائه ، فاشهدوا النشيد الرسمي للثورة
الجزائرية ، الذي كتبه في سجن بربروس في الزنزانة رقم 69
بتاريخ 25 أبريل 1955 .

قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا

لعلي لا أكون مخطئا ، إذا قلت إن هذا النشيد الرسمي
للثورة ، يعد مرآة صادقة لمعاناة وآمال الأمة الجزائرية بكاملها .
ولذا يعد المشعل المقدس للثورة الجزائرية .

والاجتماعي ، وأصبح الاستعمار ينهب خيرات البلاد نهبا ، فتكونت عدة شركات احتكارية رأسمالية يهودية ، هدفها الأول امتصاص وتسخير الاقتصاد الجزائري لخدمة الفئة الاستعمارية الباغية المرتبطة ، ببعض عناصر جزائرية انتهازية ، التي أباحت لنفسها التبعية المطلقة للإستعمار الفرنسي فكريا وماديا .

لقد أورثت هذه الحالة القائمة في بعض نفوس الجزائريين الأحرار ثورة وانتقاما على الأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية السائدة آنذاك في الجزائر ، وبالتالي ظهرت عدة اتجاهات متباينة إزاء هذه الوضعية العامة ، التي يمكن أن نشير إليها :

1 - إتجاه يريد الإنغماس الكلي في الثقافة الفرنسية فكريا وماديا . فإن هؤلاء ، باعوا ثقافتهم وضآئيرهم في سوق التبعية الإستعمارية ، فهذا الاتجاه يمثلهُ أصحاب الادماج والتجنيس .

2 - اتجاه يريد المحافظة على الشخصية الجزائرية الاسلامية واستقلالها ، مع الأخذ بأسباب القوة الحضارية الغربية وهو يرى أن الإسلام قادر ، أن يعالج جميع قضايا الساعة ، مهما كانت معقدة ، فهذا الاتجاه تمثلهُ المدرسة الإصلاحية المعاصرة .

3- اتجاه يريد المحافظة على الشخصية الجزائرية كما هي ،
ورفض كل مظاهر الحضارة الغربية ، المادية والفكرية ، جملة
وتفصيلا ، فإن هذا الاتجاه تمثله المدرسة المحافظة السلفية .
تلكم أهم المدارس والتيارات السائدة في الجزائر شماله وجنوبه
منذ دخول الاستعمار الجزائر الى قيام الثورة التحريرية سنة
1954 .

فليس عجيبا ، إذا وجدنا هذه الظاهرة الاجتماعية المتناقضة
في أدب الجزائر المعاصر ، لقد صور هذه الظاهرة الانشطارية
الخطيرة أحسن تصوير الشاعر الثائر رمضان حمود (1906 - 1929)
في جريدة وادي ميزاب 1928/12/21 ، حيث يقول : (زيغ يكشر
عن أنيابه ، تهتك مخيف ، إلحاد أسده تبشير مزعج ، إستعمار قوي
مدنية خلافة ، ضوضاء قائمة كلها ضد الإسلام والمسلمين في جميع
الأنحاء والأقطار ، هل من يحتفظ بتراث أجداده الكرام بكل ما
لديه من رخيص وغال ؟ وهل فيكم من يتشرف بتلبية صوت
محمد ﷺ) ويقول في موضوع آخر : (الجزائر أمة إسلامية قبل كل
شيء ، يجب أن تحافظ على دينها وإسلامها قبل كل شيء .
الجزائر في خطر عظيم من داء التفرنج القتال ، فلتكن على
يقظة وحذر .)

وفي ضوء هذه النظرة الاجتماعية المعاصرة ، ينبغي لنا أن نقول :إن العوامل والمعطيات التي ذكرناها سوف تؤثر بعمق في شخصية إبراهيم بيوض - رحمه الله .

إذن فالشخصية إبراهيم بيوض لا تعود الى الجانب الذاتي الخالص ، بقدر ما تعود الى الجانب الموضوعي المرتبط أساسا بالمشكلات الاجتماعية والإرهاصات الموجودة في الجزائر .

انطلاقا من هذا المنظور الواضح ، يجب أن نعلل ونشرح العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الرائد والتيارات السائدة في عصره هذا ، فإذا عزلنا هذا العنصر الجوهري ، فإن دراستنا ستكون ذاتية جزئية لا محالة ، وغير قائمة على الموضوعية والشمولية الكافية .

وإذا سلمنا بهذه الحقيقة المنطقية والتاريخية ، فإنه يجدر بنا الآن أن نلقي ونسلط الأضواء الكاشفة على حياة الشيخ بيوض ، مبينين حياته ونشأته وتعلمه وجهاده واجتهاده في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية ، ورؤيته الإصلاحية العامة في الجزائر والعالم الإسلامي .

الفصل الثاني

ابراهيم بيوض نشأته وتعلمه

أ - مولده ونشأته الأولى :

في بداية القرن العشرين المتميز بإرهاصات النهضة العربية الإسلامية مشرقا ومغربا ، ولد ابراهيم بيوض في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة سنة 1316 هـ 22 أبريل 1899 ، بمدينة القرارة من وادي ميزاب ، ولاية غرداية ، جنوب الجزائر .

والجدير بالملاحظة أن تسمية الألقاب في وادي ميزاب ، تعود الى علل معروفة في العائلة وتحفظ عادة للأبناء وذلك بسبب حادثة عامة أو مناسبة تاريخية أو اجتماعية أو حالة ذاتية مرتبطة بالجانب النفسي أو البيولوجي أو الاجتماعي .

وفي ضوء هذا فإن الشيخ بيوض يعلل لقبه قائلا : (ولقبي بيوض بفتح الباء وضم الياء المشددة وسكون الضاد وهو لقب أسرتي ، وأول من لقب به جدي الثاني ابراهيم بن حمو الأول لبياض لونه ، وجمال هيأته ، فسرى منه هذا اللقب الجميل الى ذريته ، وهؤلاء الأجداد من مدينة القرارة في ميزاب)(1)

(1) محمد علي دبور - أعلام الإصلاح في الجزائر ج 1 ص 83 -

هذا هو نسب الشيخ بيوض من حيث أبيه ، أما والدته فهي عائشة بنت كاسي بن بهون ، وأما أبوه عمر بن بابة ، فقد اشتهر بتجارته في مسقط رأسه بالقرارة ، وكان كثير السفر بين الشمال والجنوب لجلب السلع المتنوعة ويعد من أعيان مجتمعه ، وكان ذا أخلاق رفيعة في الصدق والأمانة والشجاعة والكرم والوفاء .

ومما لا شك فيه أن هذه القيم الأخلاقية دفعته الى حمل مشعل الإصلاح مع أصدقائه الأوفياء ، لتغيير ومعالجة الأوضاع الاجتماعية السائدة والآفات السائدة . غير أن هذه المسيرة الإصلاحية بقيت محدودة ، نظرا الى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعدم وجود رائد محنك في قيادة الأمة حينئذ .

ولعل القدر شاء أن يكون ابنه إبراهيم حاملا لواء التجديد والنهضة في جنوب الجزائر انطلاقا من القرارة .

ب - دراسته الابتدائية والثانوية : إن الدراسة الابتدائية والثانوية بالمفهوم العصري ، لا وجود لها في بداية هذا القرن العشرين في وادي ميزاب ، بل هناك كتابات لتعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة ، وتحفيظ القرآن الكريم ، ولما بلغ إبراهيم السادسة من عمره أدخله أبوه في كتاب الشيخ محمد بن الحاج يوسف وقد

لازم استاذہ الأول حوالي عامين ونصف ، إلا أن ذكاءه جعله ينتقل الى المرحلة المتوسطة الأولى ، وهو في عمره تسع سنوات .

يقول الشيخ رحمه الله (انتقلت الى معهد الشيخ الحاج ابراهيم الأبريكي رحمه الله قبل الحلم ، وعمرى تسع سنين ، بعد أن مكثت في كتاب شيخي الأول رحمه الله نحو عامين ونصف ، ويبدو لي أن سني لما ابتدأت التعلم ست سنين ونصف أقل من سبعة . وقد توفي شيخي الأول محمد ابن الحاج يوسف بعد انتقاله من كتابه بقليل ، توفي قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان انتقاله الى معهد الشيخ الابريكي في أول عام 1908 م (2) .
والجدير بالملاحظة ، أن هذه الدراسة تعتمد في منهجها العام على اللغة العربية والشرعية الإسلامية والتاريخ الإسلامي والمبادئ العامة في علم الحساب وعلم الميراث .

ولما بلغ ابراهيم بيوض ، السنة الثالثة عشرة من عمره استظهر القرآن الكريم بكامله .

ومما لا شك فيه ، أن القرآن الكريم يعد الدعامة الأولى ، في تثبيت العقيدة وادراك أسرار اللغة العربية ، نحواً وصرفاً ، وبلاغة ،

(2) محمد علي دبوز ، أعلام الإصلاح ج 2 ص 97

ويمكن الطالب من استنتاج العلوم القرآنية كعلم أسباب النزول ،
والناسخ والمنسوخ ، وعلم التفسير وتاريخه .

وغني عن البيان ، أن شخصية الأستاذ تعكس آثارها بالضرورة
على التلاميذ أدباً ، وثقافة وخلقاً وسلوكاً ، لاسيما في المرحلة
الإبتدائية والمتوسطة وحتى في المرحلة الجامعية .

ولقد عبّر إبراهيم بيوض عن أثر أستاذه الأبريكي فيه بما يلي :
(ان هذه المدة في معهد شيخي الابريكي هي أهم فترات التعلم
والتكوين في حياتي . فهي التي كونت عقلي وضميري ، ومكنتني
من أصول الشريعة ومبادئها ، والنحو والتاريخ وتاريخ الصحابة
رضوان الله عليهم) (3) .

وبعد وفاة شيخه الحاج إبراهيم الأبريكي سنة 1911 ، خلقه
الأستاذ أبو العلاء عبد الله إبراهيم في التعليم وبعده الشيخ الحاج
عمر بن يحيى المتوفى سنة 1921 ، ولذا يعد الحاج عمر بن يحيى
هو الأستاذ الثالث للشيخ بيوض .

وانطلاقاً من هذا التاريخ ، فان السنوات التي قضاها مع أستاذه
الشيخ الحاج عمر بن يحيى ، قد أخذت مُنْحَنِيَّ جديداً ، تمثل في

(3) المصدر السابق ص 120

تعميق وتأصيل ثقافته العربية الإسلامية ، ولاسيما علوم المنطق
والبلاغة والعقائد الدينية وبعض العلوم الاجتماعية والسياسية .
ولما بلغ إبراهيم بيوض السنة السادسة من عمره ، أمسى مساعداً
لأستاذه الشيخ عمر بن يحيى في تعليم وإفهام الطلبة ، المسائل
المستعصية عن الإدراك فأظهر ذكاء حاداً ، وحافظة قوية ، وذاكرة
لا تنسى ، ونطقاً عربياً سليماً ، بفضل اجتهاده الدائم ومطالعاته
المستمرة ، واحتكاكه بالأدب القديم والحديث . .

يقول إبراهيم بيوض (ووصلتنا دوواين الشعراء الفحول التي
طبعت في هذا العهد ، ديوان المتنبي والبحري وغيرهما ، فقرأتهما
وحدي ونفعتني نفعا عظيماً في باب الفصاحة والعربية ، وقرأت
في الأدب الحديث في هذا العهد مؤلفات المنفلوطي النظرات ،
والشاعر والفضيلة وغيرها .)

وفي هذا المناخ الثقافي ، يحسن بنا أن نشير الى نوع معين من
الثقافة العامة التي تركت فيه انطباعات حساسة في تفكيره وسلوكه
وهي الأسفار .

ج - ابراهيم بيوض وأسفاره الأولى :مما لا شك فيه أن
الأسفار التي يقوم بها الإنسان تعد مدرسة تجريبية واقعية ، وذلك

بأن الإنسان يدرس سلوك الفرد والجماعات في واقعها المحسوس ،
ثم يدرس الظواهر النفسية والاجتماعية والاقتصادية المتحكمة في
البنيات الاجتماعية فردا وأُسرة وأمة .

وعلى أية حال ، فإن الأسفار التي قام بها الشيخ بيوض في
سنواته الأولى ، قد أثرت في تفكيره وانطباعاته ، وفي هذا
المجال ، فإن سفره الأول قد كان مع أبيه الى بني يسجن لزيارة
الإمام القطب رحمه الله ، حيث حضر بعض دروسه سنة 1908م ،
أما سفره الثاني ، فكان مع أستاذه الشيخ عمر بن يحيى سنة
1913 ، حيث مكث في وارجلان شهرين كاملين .

بعد هذه الفترة الزمانية شرع ابراهيم بيوض يصاحب أنصار
الحركة الإصلاحية في أسفاره ، لا سيما الحاج بكير العنق ، الذي
حمل لواء التجديد والتغيير في مدينة القنطرة .

وغني عن البيان أن أسفار إبراهيم بيوض ، كانت متعددة جدا
في شمال الجزائر وتونس والمشرق العربي .

ومن الملاحظ أن هذه الأسفار التي قام بها أستاذنا ، قد فتحت
أمامه آفاقا واسعة ، وفكرا جديدا ، واتصالا أخويا إسلاميا مع
الحركات السياسية الإصلاحية السائدة في تلك الربوع .

يقول ابراهيم بيوض (في أول فبراير عام 1921 اطلقت على معاهد تونس العلمية ، وحضرت دروسا كثيرة في جامع الزيتونة ، وتعرفت الى علمائها البارزين في حلق دروسهم ، وشاهدت تونس في عنفوان جهادها السياسي واجتمعت بكثير من قادتها السياسيين أركان حزب الدستور وسمعت خطبهم)⁽⁵⁾ وهكذا اعتقد ابراهيم بيوض ، بأن الأوضاع الجزائرية الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لا تختلف عن تونس ، والعالم الإسلامي ما دام يزرع تحت كل كل الجهل ، والفقر ، والمرض والاستعمار الأوروبي .

وبعد هذا ، يتقن إبراهيم بيوض أن السبيل الوحيد للخروج من هذا الحما يكمن في الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة ، التي تجمع بين الأصالة الصحيحة والتفتح على العلوم الغربية ولا سيما أن إبراهيم بيوض قد تأثر أشد التأثر بالمدرسة الإصلاحية الشرقية من خلال الصحف والمجلات التي تصل اليه ، يقول في شأنها ما يلي : (وفي هذا العهد كانت تصلنا مجلة المنار للشيخ رشيد رضا فنقرأها في الندوة في اهتمام كبير ، وأعيد قراءتها متلذذا بمواضيعها الدسمة المنعشة ، وبطريقة الشيخ محمد عبده والشيخ

(5) المصدر السابق ص 188

رشيد رضا في التفسير . وكانت فائدتها لي عظيمة وعوائدها الحسنة علي لا تحصى(6)

إذن فإن بذور الفكرة الإصلاحية عنده تعود الى عوامل ذاتية وعوامل موضوعية خارجية ، تعود الى الوقائع الجزائرية والشرقية المؤثرة في نهجه الإصلاحي الذي سنعالجه في هذه السطور القادمة .

الفصل الثالث

ابراهيم بيوض وجهاده الإصلاحي

أ - ابراهيم بيوض وجهاده التربوي : إن الإنسان مهما كان لا يمكنه ، أن يعيش بعيدا ومنعزلا عن مجتمعه ، الا أن هذه العلاقة الاجتماعية التفاعلية بين الفرد والمجتمع ، يجب أن تكون قائمة على التربية السليمة التي تدفع الإنسان أن يكون واعيا بسلوكه وسلوك غيره ، حتى يتمكن من التكيف السليم إزاء مجتمعه وقضايا الفكرية والمادية .

وفي ضوء هذا المنحى فإن إبراهيم بيوض اعتمد على هذه الفلسفة الواقعية التي أصبحت عماد الحضارة قديما وحاضرا .

(6) نفس المصدر ص 161

فليس عجيباً أن نجد كل المدارس الفلسفية قديماً وحديثاً ،
غربية وشرقية تهتم بهذا الجانب الخطير في حياة الأمم والأفراد .
وهكذا نجد الفيلسوف التربوي الأمريكي جون ديوي
(1859 - 1252) يقول : (التربية هي الطريقة الأساسية للتقدم
والإصلاح الإجتماعي ، كل إصلاح لا يعتمد إلا على قوة القانون ،
فهو إصلاح عابر لا قيمة له)

وانطلاقاً من هذا الفكر التربوي الشامل ، فإن العلامة بيوض قد
أدرك بشاقب فكره وحسه الوطني الإسلامي الأصيل ، أن التربية
القائمة على التوسط في كل شيء هي التربية السليمة .

فالتربية في نظره هي تحمل المسؤولية التي تجعل الآباء
مسؤولين اجتماعياً وإنسانياً عن مستقبل أبنائهم ، والشيء العجيب
أن المقال الثاني الذي كتبه في جريدة وادي ميزاب بتاريخ
18 / 02 / 1927 : يعالج فيه الظاهرة التربوية يقول فيه ما يلي :
(الصبي أمانة بيد أبيه أو القيم عليه ، وهو المسؤول عنه أمام الله
والناس ، وعليه وحده يتوقف مستقبل ابنه ، صحة أو سقما ، علما
أو جهلا ، سعادة أو شقاوة . فيجب عليه في آن واحد تربية جسمه
وعقله وخلقه . . . بذلك تتم سعادته وسعادة أمته به ، بل وسعادة
الإنسانية جمعاء ، وإهمال شيء من ذلك يشقى وتشقى أمته به بل
والإنسانية كلها)

ومن خلال هذا المنهج السليم ، فإن إبراهيم بيوض - رحمه الله - اعتمد على المؤسسات التربوية في فلسفته التهذيبية ، ولا سيما المدارس الحرة والمساجد والاحتفالات الجماعية .

ومن هنا فقد اعتمد إبراهيم بيوض ، على المسجد الذي لعب دورا خطيرا في الحضارة الإسلامية الى يومنا هذا ، باعتباره المركز الجوهري الأول في التربية الإسلامية عقائديا وأخلاقيا وتعليميا ونفسيا واجتماعيا ولذا نلاحظ عدة آيات قرآنية ، تدعو المسلم أن يعمره خالصا لله عز وجل : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (الأعراف: 29)

وهكذا نرى أن الشيخ بيوض قد اعتمد كل الاعتماد على المسجد ، فاتخذة مدرسة شعبية وجامعة ، لكل الطبقات الشعبية المثقفة والعامية ، الصغير والكبير ، الفقير والغني ، ليروي كل إنسان ظمأه منه ، ويبعد عن نفسه الحياة المادية المثقلة بمشاكلها في تلك اللحظات الروحية المنعشة .

يبد أن هؤلاء يجمعهم قاسم مشترك وهو الإسلام ، ولكن هذا الاسلام يجب أن يعود الى أصوله النقية : الكتاب والسنة . وسيرة الخلفاء الراشدين .

وغني عن القول أن الشيخ بيوض قد أدرك هذه الحقيقة التربوية بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والدينية والسياسية .
واعتمادا لما ذكرناه هنا ، فإن إبراهيم بيوض ، قد أخذ مكانه رائدا ، في الصف الأول بالمسجد سنة 1921 .

إن هذه السنة قد اجتاحتها وباء مميت في وادي ميزاب ، فذهب بمعظم شيوخه ، لا سيما الحاج عمر بن يحيى أستاذ إبراهيم بيوض ، حيث خلف أستاذه في رئاسة هذه الحركة العلمية والإصلاحية .

وفوق هذا فإن مواهبه الفكرية ونشاطه الفعال وشجاعته الأدبية وذكاءه الإجتماعي ، كل هذه القيم دفعته سنة 1922 ، أن يدخل حلقة العزابة ، بجدارة فأسمى إماما بمسجد القرارة ، فاحتك بالشرائح الاجتماعية المختلفة فأظهر قدرة فائقة في الوعظ الديني معالجا الآفات الاجتماعية آنذاك .

إن هذه الخاصية التي امتاز بها الأستاذ إبراهيم بيوض في الوعظ الديني والخطابة المستمرة في بعض الحالات خمس ساعات تعود الى العلل التالية في نظرنا :

1 - فصاحته المطلقة في العربية الفصحى والدارجة .

2 - استشهاده بالأدلة القرآنية والحديث الشريف وأقوال الشعراء

والحكماء .

3 - إحساسه العاطفي القوي ، وإدراكه الثاقب للمشاكل الاجتماعية .

4 - بيان أسباب ظهور هذه المشاكل الاجتماعية ، ثم تقديم الدواء الكافي لمعالجتها .

5 - تطهير العقيدة الاسلامية من كل مظاهر البدع والخرافات .

6 - الدفاع المستميت عن الإسلام إزاء الاستعمار والمبشرين والمدجلين .

7 - بيان خطر الانشطارية في المسلمين .

8 - دعوته الحارة الى فتح باب الاجتهاد إزاء قضايا الحاضر .

ومن هنا نفهم وندرك لماذا أن كل الفئات الاجتماعية تتسابق كل التسابق الى حضور دروسه التربوية ، إلا أن هذه التربية في نظره ، تعد ناقصة جدا ما دام الفرد لم يأخذ حظه من التعليم كافيا فكيف ذلك ؟ وهذه الفكرة سوف نعالجها بعد لحظات .

ب - إبراهيم بيوض والتعليم العربي :

مما لا شك فيه أن اللغة تعد عنصرا جوهريا ثابتا في إثبات هوية الشخصية أو انشطارها أو إذابتها فاللغة قبل كل شيء هي الوجود الكلي للإنسان ، ومن فقد هذه الخاصية ينحط الى عالم الحيوانات البكم .

وهكذا نجد مفكري التاريخ والأمة وعظماء السياسة في تاريخ الحضارات والأمم ، يبذلون كل وجودهم ، ويضحون بالنفس والنفس لإثبات أصالة أمتهم ، وهذا لا يتأتى الا من خلال لغة وطنية سليمة ، قوية قادرة على استيعاب الثقافة المادية والفكرية ، السائدة في ذلك العصر وربطه بماضيهم وإلا كانت هناك قطيعة بين السلف والخلف .

وفي ضوء هذا فإن الشيخ بيوض ، قد أدرك كل الإدراك ، أن هذه الحقيقة تجسمها اللغة العربية الفصحى التي تمثل القرآن الكريم ، وبدون هذه اللغة لا نستطيع أن نبني أسسا سليمة في نهضتنا المعاصرة الجزائرية .

إن اللغة العربية هي الإسلام وبدونها لا يمكننا أن نفهم القرآن الكريم وعلومه ، فالقرآن الكريم هو الذي حماها من الذوبان ، ولولا هذا يستحيل أن تستمر اللغة العربية في الحياة .

إذن فكل من يطعن هذه اللغة بطريق مباشر أو غير مباشر فإنه يطعن قلب الإسلام ويحرفه ويزيف تاريخ المسلمين .

واعتمادا على هذه الحقيقة المنطقية ، والواقعة التاريخية فإن الشيخ بيوض - رحمه الله - دعا في أوائل نهضته الإصلاحية في الجزائر بكل قواه الى تأسيس وبناء المدارس الحرة المعاصرة التي

تهتم بتدريس اللغة العربية وعلومها بحيث توازي
المدارس الفرنسية .

فهذا في نظره هو الحل الوحيد والسليم لمواجهة ومهاجمة
الثقافة الفرنسية الهادفة الى تحريف وتعقيم أصالتنا ، وديننا
الإسلامي .

ومن هنا بدأ بتدشين أول معهد عربي إسلامي في القرارة وذلك
في يوم الجمعة 28 شوال 1343هـ ، 21 ماي 1925 ، .

إن هذا المعهد كان تحت إدارة وتسيير الشيخ بيوض ، بحيث
كان فيه معلما ومهذبا وموجها للطلبة إذ تأثر أشد التأثر بالمدرسة
الإصلاحية العبدوية في دروسه ومنهجه ، يقول الشيخ بيوض : (إن
مقصدي في هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ محمد عبده ، أن
أخلق عقولا تتذوق بلاغة القرآن ونفوسا فيها طهر القرآن وتلاميذ
مصلحين يكونون جند القرآن)(7)

ومن الطبيعي جدا ، أن نجد الآباء يدفعون أبناءهم الى هذا
المعهد لا سيما مدن ميزاب وشمال الجزائر وبعض الدول الإسلامية
كتونس وليبيا وعمان والسودان .

(7) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ج2 ص30

والحق أن هذا المعهد قد فتح أبوابه لكل المسلمين ولم يغلقها مطلقاً أمام أي مسلم مهما كان اتجاهه المذهبي بشرط أن يلتزم هذا الطالب بالقانون المعمول به في هذه المؤسسة التربوية كبقية المؤسسات التربوية العامة . ولكن نجد هناك بعض النفوس المريضة تريد أن تزيف هذه الحقيقة التاريخية من خلال أعمالها الفكرية التي تنشرها بدافع الكبت والتعويض والإسقاط ونكران الجميل .

لقد صدق الشاعر في قوله :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني
والحقيقة التي لا جدال فيها أن معهد الحياة ، قد لعب دوراً فعالاً وذلك بتكوين رجال العلم ، الذين حملوا لواء الثقافة الإسلامية الأصيلة في جنوب وشمال إفريقيا .

إن هؤلاء الجنود ، قد حاربوا مظاهر البدع والخرافات والأفكار المتحجرة البالية ، فنشروا الوعي الإصلاحي السليم ، ومن ثم ، فقد هياؤا الأرضية الصلبة لقيام ثورة التحرير العامة كفاحاً وسياسياً .
ولا بأس أن نذكر هذه الحقيقة مستشهدين بالميثاق الوطني 1986 ص 20 : (وليس من المبالغة في شيء القول بأن وحدة

العقيدة الدينية والوحدة الثقافية المرتبطة بها في صياغة الخطاب السياسي وفي حمل الزوايا والمساجد ومراكز التعليم نقاط ارتكاز تغذي دعوة الجهاد ضد المحتلين ، وتلهب حماسة الثوار والمقاومين)

ويقول المفكر المصري الكبير أنور الجندي ما يلي : (وأبرز أعماله - أي إبراهيم بيوض - إنشاء معهد الحياة عام 1925 الذي ما زال قائما والذي خرج عددا كبيرا من العلماء والأساتذة وقد لعب خريجو معهد الحياة أكبر الأدوار في الثورة الجزائرية ، وكان الشيخ بيوض من دعاة المزج بين العروبة والإسلام ، وارتباط المغرب بالشرق ، وإعزاز الإسلام واللغة العربية والجزائر)⁽⁸⁾ وهكذا نرى أن الحركة الإصلاحية التربوية في ميزاب تعد امتدادا طبيعيا للحركة الإصلاحية التي قام بها كل من الإمام الكبير الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ، (1818 م 1914) وعبد الحميد بن باديس (1889 - 1940) والبشير الإبراهيمي (1888 - 1965) واستكمالا ، للتيارات الإصلاحية الشرقية جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا .

(8) أنور الجندي ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ص 144

وبعد هذا ، تُرى ما هي الفلسفة الإصلاحية ، وكيف نظر الإمام
ابراهيم الى هذه المدرسة ؟ فكيف جاهد فيها ؟ إن هذه الإجابة ،
سنبينها في الصفحات القادمة .

ج - الشيخ بيوض وجهاده الإصلاحى دينيا واجتماعيا :

ليس هناك أدنى شك في أن المدلولات اللغوية ، تحمل في
طياتها عدة معان ، ولذا أرى من الضروري أن أُحدد هذه الدلالة
لغة ودينا واجتماعا :

الإصلاح لغة : مصدر من فعل ، أصلح يصلح إصلاحا الشيء
أزال فسادَه .

الإصلاح دينيا : إزالة مظاهر الفساد والبدع والخرافات
من العقيدة الصحيحة .

الإصلاح اجتماعيا : هو إزالة كل مظاهر الفساد من البنيات
الاجتماعية ، فردا وأُسرة ، ومجتمعاً ، سواء في المجال الأخلاقى أو
الدينى أو الإجتماعى .

والنزعة الإصلاحية تتميز بالتحول التدريجى مع اتباع طرق
التربية والوعظ وفتح المؤسسات التعليمية والمهنية أمام الجمهور
حتى تعالج الأوضاع الفاسدة في ذلك المجتمع .

وإننا لنجد عدة آيات قرآنية تشير إشارة واضحة الى هذا المعنى الديني والاجتماعي كقول الله عز وجل : ﴿فمن آمن وأصالح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ الأنعام ٤٨ . ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (هود : 88) . ﴿ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (الاعراف : 85)

وفي ضوء هذا المنطلق القرآني الكريم الهادف الى إصلاح البنيات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي : فردا ، وجماعات ، وبهذا الإصلاح نزيل كل مظاهر التحريف والفساد عن تصرفاتنا اليومية وسلوكاتنا العامة ، حتى نعود الى أصالتنا الإسلامية الكتاب والسنة .

إلا أن تطبيق هذه القاعدة الإسلامية على القضايا العصرية المعقدة ، التي لم تظهر في وقت الرسول الكريم ، جعلت الفكر الإسلامي في تاريخه الطويل قد انقسم الى التيارات التالية :

1 - المدارس التحريفية الهدامة التي انتسبت الى الإسلام ظلما ، بحيث أنها حرفت الشريعة الإسلامية على حسب هواها ومقاصدها الباطنية وهي الحركات الباطنية قديما : كالحركة

الإسماعيلية والقرامطة أو الحركات الحديثة كالقديانية والبهائية، فهذه الحركات قد خرجت عن الإسلام خروجا كلياً لأنها تنكرت لنصوص الشريعة الصريحة كختم نبوة محمد ﷺ .

2 - المدارس العقلية ، التي تعتمد على الدليل النقلي والعقلي المتجسم في الاجتهاد الهادف الى خدمة مصلحة المسلمين إزاء قضايا العصر

3 - المدارس الظاهرية ، التي تعتمد على النص فقط ، بحيث تفسر النصوص تفسيراً لغوياً خالصاً بدون إعمال العقل في المشاكل الاجتماعية الحاصلة .

ومن خلال هذه المقدمة المختصرة جداً ، نلاحظ أن العالم الإسلامي كله مشرقه ومغربيه ، شماله وجنوبه ، مر في صراع بين المدرسة العقلية الإصلاحية والمدرسة النقيلية التقليدية نتيجة الحضارة الغربية التي أثرت في مسيرة العالم الإسلامي منذ القرن السابع عشر الى القرن العشرين .

وفعلاً ، فقد ظهرت في الجزائر المدرسة الإصلاحية بواورها الأولى ، بزعامة محمد بن بكير بن الخوجة المشهور بالشيخ الكمال (1865 - 1915) وكان عالماً وفقهاً في الشريعة الإسلامية ، ومن أهم آثاره الفكرية : إقامة العظام في نفى التعصب

الديني في الإسلام .ويعد من الأوائل الذين نشروا الفكر العبدوي الإصلاحي في الجزائر ، وذلك بمقاومة الأفكار البالية الجامدة ومظاهر الثقافة الاستعمارية .(9)

ومن الملاحظ أن المدرسة الإصلاحية بدأت تؤثر تأثيرا قويا في الفكر الجزائري المعاصر ، وهذا يعود الى الأسباب التالية :

1 - احتكاك الجزائريين بالشرقيين من خلال الدوريات التي تصل الى الجزائر لا سيما جريدة العروة الوثقى ،التي كانت تصل الى الجزائر .

2 - شعور الجزائريين المسلمين الأحرار أن الإسلام أصبح غريبا في الجزائر المصابة بانشطارية الفكرية بين الثقافة الفرنسية والثقافة الإسلامية .

3 - زيارة الإمام محمد عبده الى الجزائر عام 1905 ، هذه الزيارة أصبح لها العمق البعيد في نفوس الأعلام الجزائريين .

4 - شعور الجزائريين أن هناك محاولة جادة هادفة الى تنصير الشعب الجزائري خلال المبشرين الذين سخرهم الاستعمار الفرنسي .

(9) عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ص138

ولقد بلور هذه الفكرة ،رائد الصحافة الجزائرية ، أبو اليقظان ،
حيث يقول : (إن جماعات المبشرين ما زالوا ولا يزالون
يلهون ويمرحون دائبين في خططهم الماكرة من غير أن
يلووا على شيء ، وكيف يرجعون عن غيهم ، وهم يجدون
من الحكومة كل مناصرة وكل مؤازرة ، ويلاقون منها من
وسائل التشيع والتنشيط وهم على باطل ، ما لم يلاق منها
المسلمون عشر معشار ، وهم على حق) (10)

ومن خلال هذا المنظور نقول : إن المدرسة الإصلاحية
الجزائرية تهدف الى تحقيق المحاور الأساسية التالية :

- 1 - الرجوع الى الاسلام الصحيح القائم على الكتاب والسنة .
- 2 - المحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية ، ماضيها
وحاضرها ، وتهيئة الأرضية ، ليتحقق الاستقلال .
- 3 - بناء المدارس الحرة ، والنوادي ، والمساجد في كامل
القطر الجزائري ، حتى تلعب دورا جوهريا في مجال التربية
والتعليم ، ثم محاربة كل مظاهر الآفات الاجتماعية : الجهل ،
البطالة ، الفقر ، المرض ، الانحلال الخلقي .

(10) الأمة ، ع 61 (5 / 4 / 1938)

كل هذه المقولات قد جسمتها جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، ويقول الشيخ ابن باديس الإمام الكبير في دعوتها ما يلي : (أيها الإخوة هذا العالم عالم الكون والفساد ، فكل كائن فيه معرض للخروج عن حالته الأصلية واختلال أصل نظامه ، وتلك هي حالة الفساد وإرجاعه الى حالته الأصلية هو الإصلاح ، فالمسلمون اليوم بما دانوا به من عقائد الإسلام وفضائله وأعماله ونظمه على خير لكنهم خرجوا عن أكثر ما دانوا به ، فكانوا بذلك الخروج في حالة فساد ، فلا بد من إصلاحهم بإرجاعهم الى ما خرجوا عنه ، والجمعية تدعو الى هذا الإصلاح فدعوتها إصلاحية محضة)(11)

ونرى لزاما علينا ، أن نسلط الأضواء على الفكرة الإصلاحية عند إبراهيم بيوض الذي يعد ركنا أصيلا في الحركة الإصلاحية الجزائرية الإسلامية .

والجدير بالذكر أن الاستاذ بيوض ابراهيم ، قد شارك مشاركة فعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي رأت النور في شهر ماي 1931 م ، فانتخب عضوا في مجلس إدارتها وأسندت اليه نيابة أمانة مالها ، فعمل بكل إخلاص وجد في إنجاح الفلسفة الإصلاحية شمالا لا سيما جنوبا مع أخيه أبي اليقظان

(11) أبو صفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 373

(1888 - 1973) الذي رصد قلمه الثائر في بيان حقيقة الاستعمار ودسائسه الهادفة الى تمسيح الشعب الجزائري المسلم بصحفه الثمانية : وادي ميزاب ، ميزاب ، المغرب ، النور ، البستان ، الأمة ، الفرقان ، إن هذه الصحف تميزت في جملتها بالثورة العارمة على الاستعمار وأذنبه والفساد الذي تجسم في البدع والخرافات والتحجر الفكري .

وأبو اليقظان يرى أن الصحافة هي روح الأمة ولسانها ، وبدونها فإن ذلك المجتمع يعد جثة هامدة لا حياة فيه ، يقول رحمه الله :-

إن الصحافة للشعوب حياة والشعوب من غير اللسان موات
فهي اللسان المفصح الذلق الذي ببيانه تتدارك الغايات
ومن هنا فإن صديقه الشيخ بيوض قد أفرغ جهده الكلي لمعالجة القضايا الاجتماعية دينيا ، وسياسيا ، وإسلاميا وعربيا .

لقد بين عباس فرحات المجاهد الجزائري هذه الحقيقة بقوله :
(فقد كان الشعب الجزائري الذي أرهقه حكم بوليسي واستثمار
عنصري ، ينطوي على نفسه ويتمسك بقوة بعقيدته الدينية
وانتمائه القومي) ويمثل الفئة الثانية الشيخ بيوض قائد النهضة
الاسلامية في ميزاب ، ومعه الصحافي أبو اليقظان .

هذه النماذج وأمثالها مما يصعب حصره هي التي عبرت عن تيار الأصالة الثورية(12)

أضف الى ذلك أن الشيخ بيوض قد دافع دفاعا مستميا عن القضية الفلسطينية ففي سنة 1948 كان من بين الأربعة الممضين على برقيات التأييد لقضية فلسطين في الجامعة العربية والأمم المتحدة (13)

د - إبراهيم بيوض والقضايا الاجتماعية السائدة في وادي ميزاب :

لاجرم أن الإنسان يتأثر أشد التأثير بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، فهذه الوضعية سوف تنعكس أثرها على كل مفكر ناقد ، وعلى كل مصلح ثائر .

ومن هنا نجد أن الوضعية الاجتماعية الجزائرية عامة وميزاب خاصة قد تركت بصمات قوية وحادة في الحركة الاصلاحية بزعامة إبراهيم بيوض في ميزاب . . . ولقد أدرك أن القضايا الاجتماعية في الجزائر جوهريا لا تختلف في نوعها ودرجتها عن المشاكل الاجتماعية السائدة في العالم الاسلامي بكامله . وهذا يعود

(12) أنظر بام العسيلي ، عبد الحميد بن باديس ، ص 192

(13) أنظر نفس المصدر ، عبد الحميد بن باديس ، ص 152

بالضرورة الى الاستعمار الفرنسي والانشطارية التي تركها في نفوس الجزائريين .

وانطلاقاً من هذا ، يرى أن الحركة الإصلاحية في الجزائر ومسقط رأسه ميزاب يجب أن تبدأ من معالجة النفس معالجة قرآنية خالصة حتى يتحرر هذا الإنسان من التقليد الأعمى والتبعية النفسية الغربية ومن التقاليد البالية الفاسدة التي تجعل المسلم يفقد فعاليته وحيويته الايجابية إزاء قضايا العصر .

فإذا أدرك المسلم هذا ، فيضحى بالنفس والنفس لأجل المحافظة على ذاتيته المسلمة الأصلية .

واعتماداً على المنهج السليم هذا ، فإن إبراهيم بيوض شمر عن ساعده لاصلاح البنية الاجتماعية في وادي ميزاب خاصة والجزائر عامة ، وذلك بمعالجة الظواهر الاجتماعية معالجة قرآنية دينية ، وأخلاقياً ، واقتصادياً .

ومن هنا ، فقد بين أن آفة المسلمين اليوم ، تعود الى فساد عقيدتهم التي لم تتحرر من أمراض الجاهلية القديمة والحديثة ، كتقديس القبور والسلطة والتضرع لها وإليها ، لا سيما في الأزمان النفسية التي تلازم الإنسان في حياته العامة ، وهذا بطبيعة الحال يتناقض أشد التناقض مع عقيدة التوحيد الخالص .

زد على ذلك أن الحضارة الغربية قد أفرزت أزمة حادة في العالم الإسلامي وهي ثقافتها المادية والفكرية وبالتالي فإن هذه المشكلة الحساسة قد انعكس أثرها في الفكر الإسلامي المعاصر ، بين الإنغماس الكلي أو الإنغلاق الكلي .

إذن فإن إبراهيم بيوض قد واجه هذه المعضلة المعقدة في وادي ميزاب ، لا سيما النزعة التقليدية التي أخذت بعض طاقاته ليلا ونهارا مبينا رؤيته الإصلاحية في المجتمع حيث يقول : (ليس في مقدور الأمة أن تبقى منزوية منكشمة في جحرها أو تغلق حدودها وتحصن ثغورها حتى لا يتسرب اليها التمدن والعمران ، وحتى لا تتدفق على وطنها موجات بشرية متتالية ممن يطلبون الرزق في كل مكان . .

وإن من خطأ الرأي أن يظن أننا بكلمة لا نريد هكذا جافة جامدة يابسة نستطيع أن ندفع غائلة المتسلط المتحكم . إن التحجر والجمود لا يدفعان خطرا ، وإن تجاهل الخطر الواقع لا يرد بلاءه ولا يصيره غير واقع .

إنه سيل عارم لا نستطيع مجابهته ، ولكننا نستطيع أن نداريه ، وأن نصرفه أحسن تصريف بحذق ومهارة وبراعة ، إذا

شعرنا به وأعدنا له عدته ، فننتفع بخيره ولا نصاب بشره ونستضيء بنوره ولا نحترق بناره(14)

وبعد هذا . . . فرب سائل يتساءل هل المدرسة الإصلاحية البيوضية تعود تاريخيا الى أحد أعلام الإباضية أم تعد هذه المدرسة نتيجة ظروف القرن العشرين .

ومن هذا المنطلق التاريخي ، نقول : إن وادي ميزاب قد سادت فيه المدرسة السلفية بزعامة الإمام المجتهد محمد بن يوسف اطفيش (1818 ، 1914 م) الذي تصدى لنشر الشريعة الإسلامية فحارب الجهل والبدع والخرافات ويعد من المجتهدين في زمانه بدون جدال رحمه الله .

إن إنتاجه يتميز بالأصالة والكثرة إذ تجاوزت آثاره الفكرية الثلاثمائة بين مخطوط ومطبوع ، أهمهاذهب الخالص ، شامل الأصل ، وشرح النيل . . . الذي يعد بحق الموسوعة الفقهية الإسلامية التي جمعت بين أقوال المذاهب كلها .

ولقد وصف هذا الكتاب الأستاذ يحيى بكوش ، مبينا قيمته العلمية ، حيث يقول : (إن كتاب شرح النيل وشفاء العليل ، هو موسوعة فقهية كبرى ، تقف جنبا الى جنب مع الموسوعات

(14) محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ج3 ص199 ، خطاب ألقى في القرارة

المذهبية التي تقدمته ، كالمغني لابن قدامة في الفقه الحنبلي ،
وكالمجموع شرح المذهب في الفقه الشافعي ، وكبدائع الصنائع
للكساني في الفقه الحنفي ، وكالمحلى لابن حزم الظاهري .

وهو يمثل الذروة التي وصل إليها الفقه الإباضي في عهده
الأخيرة بما يتضمن من قابلية للإقتباس والتفاعل مع
المذاهب الأخرى (15)

ومما لا شك فيه ان قطب الأئمة قد ترك وراءه مدرسة فكرية
في وادي ميزاب ، بيد أن هذه المدرسة الإصلاحية ، قد تباين
تلاميذها بين المحافظة والتجديد ، نتيجة العوامل الحضارية
الغربية ، التي أثرت فيها .

وفعلا ، فقد ظهرت في تلك الفترة مدرسة المحافظين ، التي
أصرت على فهم النص في إطاره اللغوي والتاريخي ، بدون إعطاء
أبعاده الاجتهادية ، وهي ترى أن الاجتهاد في قضايا الساعة هو
الخروج عن روح الشريعة الإسلامية ، وذلك بتبرير
المصلحة الخاصة .

ومن هنا فقد رفضت الثقافة الغربية في نظرها ، جملة
وتفصيلا ، لأنها مظهر من مظاهر التنصير سواء كانت مادية

(15) يحيى بكوش ، المهرجان الثقافي لذكرى قطب الأئمة ص 49

كالتصوير ، والهاتف . . . الخ . أو فكرية كاللغة الفرنسية والنشاط المسرحي . . . الخ.

يقول محمد فاروق النبهان : (وتسلط الحكام على القضاء ، كل هذا قد أدى الى دفع العلماء للافتاء ، باغلاق باب الاجتهاد خشية أن يؤدي الاجتهاد الى التلاعب بأحكام الشريعة وإصدار فتاوى شرعية باطلة تحت ضغط المصالح الخاصة للحكام والأمراء .

ويجب أن يرسخ في أذهاننا أن الإجتهد هو العامل الوحيد الذي يكفل للفقهاء الإسلاميين الحياة والاستمرار ، وعلينا اليوم أن نبحث عن الأسباب التي تعيد للفقهاء الإسلاميين الحياة والاستمرار .(16)

وهكذا استطاع الشيخ بيوض أن يدرك أشد الادراك أن التباين القائم اليوم بين المدرستين المحافظة والاصلاحية ، شيء طبيعي لأنه ينم عن سر الوجود بين الجديد والقديم ، وبين التطور والثبات ، إن هذه الظاهرة تعد من الظواهر الاجتماعية التي تلازم كل المجتمعات البشرية في العالم ، مهما كانت بنيتها الاجتماعية بسيطة أم معقدة فلا يمكن تجاهلها .

(16) محمد فاروق النبهان . المدخ لتتريع الاسلامي ، ص346

ومن خلال هذا المنظور ، فإن الشيخ بيوض - رحمه الله - بين للجمهور أن الإسلام يدعو الى القوة المادية والمعنوية ، وبند جميع الأفكار المتحجرة الراكدة التي تتنافى مع روح الاجتهاد .

ومن هنا يرى أن كتب السلف وأئمة المذاهب ، لا تعد حجة قاطعة نهائية ، بأية حال من الأحوال ، لتقف أمام التفكير المنهجي السليم ، والإبداع الحضاري والأخوة الإسلامية .

يقول - رحمه الله - هم رجال ، ونحن رجال ، هم خلقوا لزمان معين ، ونحن خلقنا لهذا الزمان .

إن الأدلة الشرعية والعقلية هي الحد المشترك بين علماء المسلمين ، مع الإنصاف في أحكامنا .

هـ - الشيخ بيوض وأثره الإصلاحى فى العلاقات الاجتماعية والإنسانية بوادى ميزاب :

إن الأمانة التاريخية وأخلاقيات البحث العلمى بينت أن الشيخ بيوض ، كان يعتمد فى دروسه التربوية والاجتماعية على كل أقوال المذهب الإسلامية بدون تمييز .

وأكبر دليل على ذلك أنه افتتح فى سنة 1931 بالقرارة دروس الحديث من فتح البارى فى شرح صحيح البخارى واختتمه بحفل عظيم سنة 1945 ، بالمسجد .

وغني عن القول أن دروسه وفتاويه تعتمد كلها على أقوال أئمة المدارس الإسلامية بدون تعصب حيث يدعو دائما على الوئام العملي والعمل الصالح بين المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم الدينية ما دام القرآن الكريم والسنة الشريفة مصدرين من مصادر الأولى في الشريعة الإسلامية وبدونهما لا يمكن للمدارس الإسلامية أن تنتسب الى الإسلام .

ومن كل هذا ، لا يسعني إلا أن أستعرض جزءا من الدرس الذي ألقاه في 2 - 10 - 1944 ، في واحة الضاية بن ضحوة (غرداية) أمام أبنائها حيث قال : (نحن مستبشرون بهذه المظاهر المباركة : وهي دلائل قوية على أن الأمة تنبعت الى مضرة الافتراق ، وفائدة الوحدة ، والى العمل لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف .

كيف تفرق يد الشيطان ما جمعه يد الرحمن ؟ كيف يفترق المسلمون ومعبودهم واحد ؟
إن العروة الأولى الوثقى التي جمعت المسلمين ، هي عقيدة التوحيد التي يرددونها مرارا كثيرة في كل يوم وليلة في صلواتهم ، في أفضل كلمة على الإطلاق وهي لا إله إلا الله .

والعروة الثانية : رسول واحد . هو سيدنا محمد ﷺ أفينا من يتبع عيسى أو موسى أو غيرهما من الرسل ؟ نحن نؤمن بأنهم جميعا رسل الله، وتجمعهم رسالة نبينا التي نسخت جميع شرائعهم ، فنحن متعبدون برسولنا لا غير .

والعروة الثالثة عروة الكتاب ، لا يقدر كتاب غير القرآن ، لا يتطرق إليه خلاف . هو المرد عند الاختلاف (17) بهذا التصور الإسلامي الخالص ، استطاع ابراهيم بيوض وزعماء الإصلاح أن يوحدوا شعور الأمة الجزائرية المسلمة ، بالرغم من الدسائس الاستعمارية الساعية الى تشتيت وحدتها الاسلامية .

وفي هذا المنظور الاجتماعي يمكن أن أشير الى أن أي مجتمع مهما كان سواء في العالم الاسلامي أو الإفريقي أو الأوروبي . . . الخ يتميز بالاختلاف والوحدة في ضروب ثقافته العامة وهذا شيء طبيعي جدا ، بحيث لا يمكن أن نجعل الناس في قالب واحد جامد . إن الشخص الذي يدعو الى هذا ، إما بليد أو متبلد ، إزاء هذه الحقيقة الإنسانية التي يقرها الإنسان العادي والعالم الاجتماعي . . . ولنتدبر معا ، قول ابن خلدون ، ذلك المفكر الحكيم الذي يقر بهذه الحقيقة في الحضارة

(17) أنظر محمد علي دبوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر ج 4 ص 168

الإنسانية ، ولنتأمل معا قوله هذا (فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة ، والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة) (18) .

وهكذا نلاحظ أن الناس يختلفون في ألوانهم وألسنتهم وقدراتهم ومذاهبهم الفكرية والعملية وهذا دليل على قدرة الله عز وجل ، الذي خلق الناس مختلفين في شخصياتهم ولنتأمل هذه الآية الكريمة ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ الروم : 20 . من هنا نتأكد حقيقة جوهرية ، لا يمكن تجاهلها أن الاختلاف الذي نلاحظ في الظواهر الاجتماعية في العالم والعالم الإسلامي والجزائر ووادي ميزاب يعد جزءا من الظاهرة الإنسانية العامة التي لا يمكن تجاهلها ، ولكن رغم هذا فإنها تتفق في وحدة الأصول وتختلف في بعض الفروع الجزئية ، فهذه الحقيقة تنطبق على البنية الاجتماعية في وادي ميزاب ، فإذا اعترفنا بهذا الاختلاف الجزئي منطقيا وتاريخيا واجتماعيا ، والتزمنا بأخلاقيات الإسلام لا سيما العدل والانصاف وحسن النوايا والاحترام المتبادل ، فيكون ظاهرة حسنة ، جيد الفوائد ، إذ يصهر كل الأنشطة في

بوتقة واحدة لأجل خدمة مصلحة الأمة وتاريخها المجيد الإسلامي الذي بين وأكد أن الإسلام هو العنصر الحاسم والمشارك تاريخيا لصهر الثقافات المتعددة في مظهرها ، النابعة من وحدتها الشخصية الجزائرية الإسلامية .

والحق أن الميثاق الوطني لسنة 1986 ، قد بلور وبين هذه الحقيقة التاريخية والاجتماعية (كما سمحت حضارة الإسلام بصهر الشخصية الجزائرية في بوتقة ثقافية متعددة التيارات متفاعلة العناصر ، وتفاعلت الخبرات ، وتلقت الثقافات)

وفي ضوء هذا ، نلاحظ أن العلاقات الثقافية والاجتماعية والإنسانية السائدة في وادي ميزاب تاريخيا وحاضرا تميزت بالوئام ، والتعاون الأخوي ، والوحدة الكلية الصامدة إزاء الاستعمار الفرنسي ، وهذا بفضل رجال الدين والاصلاح والمجتمع الذين لعبوا دورا فعالا في توعية وإرشاد الجماهير المتساكنة منذ أمد طويل .

ورغم هذا ، فقد ظهرت طفرة سلبية في البنية الاجتماعية في هذه الآونة الأخيرة ، وهي تناقض أشد التناقض مع القيم الأخلاقية والإسلامية والوطنية والإنسانية .

وهذا لا يعود ولن يعود أبدا الى المواطنين العاديين المتساكنين الذين تربطهم علاقات فكرية ومادية في جميع

المجالات ، بقدر ما يعود الأمر الى بعض أولئك الذين يحملون
زمام الأمر والتوجيه محليا .

فإن هؤلاء لم يلتزموا بالعدالة الوطنية والاجتماعية بالمفهوم
الشامل السليم ، إذ تجعل الناس يثقون كل الثقة في قيمها
الأخلاقية الصادرة من القرآن الكريم القائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ النساء : 135 .

نحن نقول إن العدالة الإسلامية هي عدالة إلهية ، فلا تفضل
النفس ، أو القريب أو الغنى أو الحاكم ، ولا يرتفع فوقها أحد مهما
كانت طبيعته النفسية أو الاجتماعية أو الجنسية .

إن التفاضل لا يكون إلا بالعمل الجاد والصالح ، الذي يعترف
به الصديق والأخ الناقد في الواقع المحسوس ماديا وفكريا .

هذه صورة مصغرة للجهاد الإصلاحي في القضايا الاجتماعية
عامة ، ولنتنقل الى جهاد آخر وهو الجهاد السياسي الذي خاضه
ابراهيم بيوض ، والذي سنراه في الفصل القادم .

الفصل الرابع

إبراهيم بيوض وجهاده السياسي

إبراهيم بيوض وجهاده السياسي قبل ثورة أول نوفمبر 1954 :

1 - الفكر السياسي الإصلاحي ومدلوله في الجزائر :

لقد جاء في الميثاق الوطني 1986 م ص 19 ما يلي : (إن المقاومة الشعبية لم تقتصر على المظهر المسلح فقط ، بل اتخذت في نفس الوقت طابع صمود ثقافي ورفض مطلق للقيم التي كان يريد المحتل فرضها وإقرارها ، وبذلك أصبحت مقاومة الشعب معنوية وثقافية تتمثل في نبذ كل ما من شأنه أن يقر شرعية الاستعمار)

وفي ضوء هذه النظرة التاريخية الحقيقة ينبغي لنا أن ننظر إلى الجهاد السياسي ، الذي خاضته الحركة الإصلاحية في شمال الجزائر وجنوبها ، نظرة تأمل وتعمق حتى ندرك جوهره ونجعله في الإطار التاريخي الجزائري ، وإلا فقدنا النظرة الشمولية الصحيحة ، والموضوعية المنطقية .

ومما لا شك فيه أن الحياة السياسية الاستعمارية الفرنسية قد أثرت في سلوك الجزائريين ، سلبا ، ومن هنا فقد أدرك رجال الدين والإصلاح أن شرعية الإستعمار الفرنسي لا بد من مقاومتها من

خلال الإسلام الذي يحمل في طياته الجهاد المقدس ضد الإستعمار المحتل ، فكيف ذلك .

وأيا كان الأمر ، فإن الحركة الإصلاحية الجزائرية منذ ظهورها في بداية هذا القرن العشرين ، حاولت أن تبعد نفسها عن السياسة الصريحة الثورية إزاء فرنسا ولذا لجأت الى التمويه والصراحة في بعض الحالات لتتكيف مع الظروف التي تمر بها الجزائر ، ومهما كان الأمر فإن الدين الإسلامي الأصيل هو ثورة على كل شيء حينما ندركه إدراكا واعيا من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف .

ولعل من المناسب أن نقول إن رجال الإصلاح قد أدركوا أن إصلاح النفوس دينيا ما هو الا مرحلة من المراحل السياسية ، ولذا فإن الباحث يلاحظ أن الخطة السياسية التي انتهجها رجال الإصلاح تتميز بالمرونة والشدة واليقظة والدهاء السياسي على حسب الظروف المحلية والعالمية .

ومن الأفضل هنا ، أن استشهد ببعض ما جاء في هذه الفكرة السياسية .

يقول أبو القاسم سعد الله (وكانت الجمعية في سيرها تمشي على حبل رقيق ، فهي تأمل وتحتج ، تسخط على إدارة فرنسا في

الجزائر وتشق في ديمقراطية في أوروبا ، وتطالب بالحرية
وبالاستقلال للجزائر ولكن عن طريق فرنسا ، وتشور على رجال
الدين الذين تستعملهم فرنسا وتدعو الى وحدة رجال الدين ولو
كانوا من الموالين المحافظين لفرنسا(19)

ومن المؤكد أن رجال الإصلاح اعترفوا بالواقع السياسي المر ،
الذي تمر به الأمة الجزائرية التي حاولوا أن يحددوا
معالمها لفرنسا .

ولنتأمل معا قول الإمام ابن باديس رحمه الله (إن الأمة
الجزائية أمة ضعيفة ومتأخرة ، فترى من ضرورتها الحيوية أن
تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة لترقيها في سلم
المدنية ، وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط
المصلحة والوداد .

ولا نرفع مطالبنا أبدا إلا إليها ، ولا نستعين عليها إلا
بالمَنْصِفِينَ من أبنائها(20)

ولكن رجال الإصلاح قد دخلوا فترة الصراحة والصراع العنيف
مع فرنسا بعد سنة 1935 .

(19) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ج 3 ص 96

(20) الشهاب ، العدد الأول 2 / 7 / 1925

يقول ابن باديس رحمه الله (إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصبح فرنسا ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت)(21)

ومن خلال هذه النصوص السياسية الواضحة يظهر لنا أن علماء الإصلاح قد كيفوا وضعيتهم السياسية والاجتماعية والدينية على حسب الحالات التي يعيشونها .

ومن الواضح جدا ، أن ابراهيم بيوض - رحمه الله - يعد أحد أعلام هذا الفكر السياسي الإصلاحي ، فكيف ذلك ؟
إن الإجابة الموضوعية تكمن في آثاره الفكرية ومواقفه التي أبداهها إزاء الاستعمار الفرنسي وأتباعه .

2 - البعد السياسي عند ابراهيم بيوض :

وهل نعدو الصواب كثيرا ، إذا قلنا إن البعد السياسي عند ابراهيم بيوض ، قد ظهرت إرهاباته الأولى ، لما كان عمره أربعة عشر عاما ، حيث أدرك أن هناك تفاوتاً خطيرا ، بين أبناء الجزائر المسلمة وأبناء الاستعمار الفرنسي الذي استحوذ على كل شيء لا سيما ، في المجال الإقتصادي والمالي والفلاحي وهكذا صارت

(21) الشهاب ، ج 1 م 12 ابريل 1936م

الأمة الجزائرية تئن تحت هذا الكابوس الظالم المتعدي على حقوقها الطبيعية ، الحياة ، الكرامة ، العدل ، الحرية ، العلم ، العمل .

يقول : الاستعمار قد سلب منا كل شيء الا القرآن الكريم ، الذي نحفظه في قلوبنا ، لا يمكنه أن يسلبه ما دمنا نحافظ عليه حفظا وقولا وعملا .

فالشيخ بيوض رحمه الله قد أدرك بحسه الوطني ، ودينه الإسلامي ، أهداف الاستعمار ، الساعية الى تذويب وتعقيم الشخصية الإسلامية في الجزائر والعالم الإسلامي ، وهذا الحس قد تكون فيه بفضل الدوريات التي كان يقرأها ، لا سيما العروة الوثقى وأثار محمد عبده والكواكبي ، الكاتب الثائر الذي ترك فيه أثرا كبيرا ، يقول الشيخ بيوض في هذا الزعيم : (ومن الكتب التي قرأناها في هذا العهد في ندوة المطالعة وأثرت في ، وكوتنتي في السياسية ، وزادنتي غيرة وحماسا للدين وأمتي الإسلامية ، كتب الشيخ عبد الرحمن الكواكبي : كتاب طبائع الاستبداد وكتاب أم القرى ، قرأناها مرات ، ودرسناهما حرفا حرفا ، وكنت أحفظ الكثير مما كتبه الكواكبي في كتابه ، طبائع الاستبداد ، من كثرة قراءتي له وإمعان النظر فيه ، وكنا نقاسي استبداد الحكم العسكري

الفرنسي وجبروته وظلمه ، فوجدنا هذا الكتاب يعبر عما في نفوسنا(22) .

وفي هذا المنظور ، يتبين أن العالم الثائر (الكواكبي 1854- 1902) قد ترك بصمات قوية في الفكر الاسلامي المعاصر ، وذلك بكتابه : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، ولنتأمل معا هذه الفقرة التالية : (ما أشبه المستبد في نسبته الى رعيته بالوصي الخائن القوي على أيتام أغنياء ، يتصرف في أموالهم ، وفي أنفسهم كما يهوى ما داموا قاصرين ، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم ، كذلك ليس من غرض المستبد أن تنور الرعية بالعلم) وهكذا فان الكواكبي قد أيقظ العالم الإسلامي من نومه العميق ، ولا جدال بأن ابراهيم بيوض قد وعى أشد الوعي القضايا الجزائرية والإسلامية ، في إطار إسلامي ، من خلال هذه النهضة الإسلامية .

3 - ابراهيم بيوض والقضايا السياسية الجزائرية وإسلاميا :
وانطلاقا مما مر بنا سياسيا ، نقول إن الشيخ بيوض ، قد اهتم بالقضايا السياسية المعاصرة في العالم الإسلامي ، فضلا عن اهتمامه الكلي بمشاكل الجزائر ، وهذه الحقيقة قد تجلت في دروسه

(22) أعلام الإصلاح في الجزائر ، محمد علي دبوبز ، ص 159

اليومية ومقالاته الفكرية التي ينشرها في جرائد أبي يقظان ما
بين (1926 - 1939)

وفي ضوء هذا ، فإن ابراهيم قد اعتمد في عمله السياسي على
توظيف العنصر الديني في المجال السياسي فالاسلام في جوهره لا
يفرق بين العبادة والسياسة ، والمجتمع والأخلاق .

إن هذه المقالات ، قد تميزت بالطابع الوطني الخالص والدعوة
الشاملة الى الوحدة العربية التي تكون حاجزا أمام الأطماع
الاستعمارية يقول : (الوحدة العربية السياسية ، أو الجامعة
الاسلامية! حلم جميل ، وغرض نبيل ، وأمنية كل عربي أصيل ،
ومسلم له باع في العروبة طويل ، تغنى بها الشعراء ، ودعا إليها
العلماء والحكماء فانطبقت صورتها الجميلة الرائعة في كل قلب
تقش فيه بأحرف من نور - لا إله الا الله ، محمد رسول الله

خافها الحكام والأمراء ، وقاومها الأجانب والدخلاء وحاربها
الاستعمار الغاشم والاحتلال الظالم)(23)

وهكذا نستطيع أن نؤكد أن الفكر البيوضي كان فكرا عربيا
إسلاميا في منهجه وجزائريا في أصالته .

والجدير بالذكر أن فرنسا، قد أحييت حفلات صارخة ، ماجنة في الجزائر بمناسبة العيد المائوي ، حيث احتلت فيها الجزائر ، لقد طلبت من الجزائريين ، أن يحتفلوا بهذه المناسبة المشؤومة . ولكن مع الأسف الشديد ، لقد ظهرت ردة انشطارية جزائرية تسبح بحمد فرنسا ، إلا أن الشيخ بيوض ، قد هاجم هؤلاء هجوما عنيفا ، مبينا خطر الازدواجية في الشخصية الجزائرية من خلال مقال نشر له بجريدة المغرب اليقظانية في 23 - 12 - 1930 .

إن هذا المقال ، قد ندد بالجزائريين الاستلابيين الذين باعوا شخصيتهم وثقافتهم ودينهم وتاريخهم الى فرنسا ثم خرجوا عن أصلاتهم الإسلامية الى ثقافة استلابية غريبة ، وتم احتواؤهم فيها ماديا وفكريا .

إن هؤلاء قد سبّحوا بحمد فرنسا وسجدوا لها ، إن هذا المقال قد أحدث هزة عنيفة في الفكر الإستعماري .

يقول الأستاذ محمد ناصر : (ولقد وقف ديبارمييه المؤرخ الفرنسي المعروف أمام هذا طويلا ، ونبه الى الكلمة يسبحون بحمد أوروبا ، وعد هذا المقال بمثابة دعوة صريحة من كاتبها للمسلمين الجزائريين ليحولوا وجوههم عن الأفق الغربي الى الأفق المشرقي وذهب الى أن هذا المقال إنما هو أثر من آثار التطور الفكري الذي

صبح الحركة الإصلاحية الجزائرية على عتبة الثلاثينات رداً على
الغزو الفكري(24)

وعلى ضوء نشاط الشيخ بيوض الفكري والإصلاحي
والسياسي، ولا سيما بعد أن قام بتأسيس جمعية الحياة سنة
1931 م، إذ تعد رائدة النهضة العلمية والإصلاحية بالقرارة، بدأت
المخابرات العسكرية الفرنسية، تلاحقه، وتتابع نشاطه السياسي
في شمال وجنوب الجزائر، فشعرت أن دعائم سياستها تهز هذا
بتحديات الشيخ بيوض ورجال الإصلاح، الذين بينوا تهافت الفكر
الاستعماري وظلمه وجبروته، وهنا حكم على الشيخ بيوض
بالإقامة الجبرية سنة 1940 لمدة أربع سنوات في مسقط رأسه
القرارة بحيث لا يغادرها ولا يتصل بال جماهير الشعبية، وفي سنة
1944 أفرج عنه، فدخل معترك الحياة السياسية، بإرادة قوية
وجهاد طويل، طالباً فرنسا أن تعترف بالشرعية القانونية
للجزائريين في إطار مبادئ جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين، ثم أن ترفع فرنسا الحكم العسكري من جنوب الجزائر
وأن تحقق هذه المطالب التالية :

(24) جريدة الشعب، 22 / 01 / 1981

1 - إلغاء التجنيد الإجباري في الجزائر

2 - كفالة الحريات الشخصية الدينية والسياسية

3 - حرية الاجتماع والنشر والتعليم العربي

4 - الاعتناء بالصحة والعلاج والاقتصاد

5 - إلغاء دور البغاء والميسر ومنع بيع الخمر

ولذا نرى من الأمانة التاريخية أن تقدم هذا الخطاب الذي ألقاه بعد الإقامة الجبرية في بعض فقراته :

(أيها الشعب الكريم إن لك ماضيا مجيدا وتاريخا بالعظماء حافلا . وإن لك في سجل تاريخ الجهاد الوطني والكفاح الاجتماعي والاقتصادي صفحات مشرقة بيضاء نقية ، إن من أرفع أنواع الظلم أن يساس شعب مثلك بسياسة عسكرية غاشمة مستبدة) (البيان : 1944)

وفي هذا المنظور الوطني الخالص ، حملته الجماهير في وادي ميزاب ، يوم 20 أفريل 1948 ، أن يمثلها في المجلس الجزائري للدفاع عن مصيرها المرتبط بدينها الإسلام ولغتها العربية ووطنها الجزائر ، ثم أعيد انتخابه في نفس الوظيفة سنة 1951 .

وهكذا يعد الشيخ بيوض عنصرا فعالا أصيلا في جمعية العلماء الذين اهتموا بالثقافة الإسلامية الاصيلة التي حملت بذور الثورة

التي نادت حي الى الجهاد في أول نوفمبر الخالد ، بفضلها وبفضل
الخلايا السرية لحزب الشعب الذي انبثق منه حزب جبهة التحرير
الوطني ، وبعد هذا سنرى مساهمة الشيخ بيوض ودوره الفعال في
هذه الثورة المجيدة .

ب - الشيخ بيوض وجهاده المستميت خلال الثورة التحريرية (1954 - 1962)

(أصبحت جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الإطار الوحيد
الذي تصب فيه كل الطاقات ويجمع كل القوى الأساسية للشعب ،
في تنظيم يتحرك على عدة جهات ويشغل على كل الأصعدة .
ويواجه الاستعمار وحلفاءه في الداخل والخارج بشتى الأساليب)
(الميثاق الوطني ، 1986 م)

وانطلاقا من هذا النص يمكننا أن نقول : إن الثورة
الجزائرية ، تعد من الثورات القليلة في عصرنا هذا ، حيث غيرت
البنية الاجتماعية في الجزائر بل في العالم العربي والاسلامي
والافريقي ، نظرا الى بعدها الثوري وانعكاسها على الوضعية في
الجزائر وفرنسا والعالم .

إن هذه الثورة قد صهرت كل التيارات السياسية الموجودة في
الجزائر في حزب جبهة التحرير الوطني ، فاعتمدت الكفاح

المسلح والسياسي طريقا للوصول الى الاستقلال التام ، ضمن المبادئ الإسلامية والعدالة الاجتماعية .

ومن هنا فإن هذه الثورة استمدت أصالتها من تاريخ الشعب الجزائري الذي خاض عدة حروب مسلحة وثقافية ضد المحتل الفرنسي .

ومن هذا المنطلق التاريخي ، فإن منطقة وادي ميزاب ، وجدت نفسها مرتبطة ومتلاحمة أشد التلاحم مع هذه الثورة المباركة ، مع الإشارة إلى أن أبناء المنطقة يوجدون في مدن القطر الجزائري ، شمالا وجنوبا ، بحيث أصبحت متاجرهم مراكز لحزب جبهة التحرير الوطني ، التي ينطلق منها العمل الفدائي في المدن وبالتالي فإن هذه المتاجر ، تعد قطب الرحى التي تجمع بين العمل الفدائي في المدن والكفاح المسلح في الجبال ، وإن اختيار هذه المراكز التجارية الميزابية يعود الى الأسباب التالية :

- 1 - وجود متاجرهم في قلب المدن .
- 2 - استعدادهم الكلي اسلاميا ووطنيا لأجل العمل الثوري ماديا ومعنويا .
- 3 - اتصالهم المستمر بكل الفئات الشعبية العادية والمثقفة .
- 4 - الثقة والسرية المطلقة التي يتمتع بها هؤلاء مع الثورة ، ولا

أدل على ذلك من أن هؤلاء - وطنيا - لم ينضم أحد منهم في تاريخ الثورة الجزائرية قبلها وبعدها الى المرتزقة ، (الحركية والقومية) الذين ضربوا الثورة من الخلف تاريخيا .

ومن الأمانة التاريخية أقول إن هذه المنطقة قد قدمت فلذات أكبادها في ساحة الشرف في شمال وجنوب الجزائر كالدكتور تيريشين ابراهيم ، والدكتور قضي بكير ، واحمد سلامة ، وموكا عبد الكريم ، وجهلان محمد ، وعامر عوابد ، وبابا واسماعيل حمو ، وابن رحال بودداس . (25) والزعيم السياسي إبراهيم غرافه قبل الثورة وبعد هذه اللمحة القصيرة جدا جدا ، تاريخيا يمكنني الآن أن أشير الى أن الشيخ بيوض ، قد لعب دورا فعالا في نصرة الثورة ماديا ومعنويا ، وقبل الدخول في هذا الموضوع يحسن بي أن أقسم عمله الى المحاور التالية :

1 (عمله الثوري في شمال الجزائر وميزاب .

2 (اتصالاته المستمرة مع الحكومة المؤقتة

(25) راجع : هو محمد عيسى الثوري ، دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ، ص 257 - 393 شهداء الثورة ، بسام العلي ، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية ، ص 219 - 220

1 - أول اتصال بين الشيخ بيوض والشهيد عبان

رمضان في الشمال :

إن الثورة التحريرية الجزائرية ، لا تخاطب الا الاحرار الذين تثق بهم ، لأنها تعتمد قبل كل شيء على ماضيهم الوطني ، وعلى السرية التامة ، وشعبيتهم ومن هذا المنطلق أسندت سنة 1956 في الشمال مهمة تكوين العمل الثوري الى ابراهيم بيوض ليتصل مع الميزابيين تجارا وعمالا وموظفين ليدفعوا عجلة الثورة الى الامام . وفي هذا المسار الثوري يقول محمد لجاوي في كتابه ثورة العاصمة أو ثورة الجزائريين ، ص 29 : (بواسطة مفدي زكرياء ، وقع أول لقاء بين الشيخ بيوض والسيد رباح لخضر عند السيد الحاج ايوب ، في حسين داي ، وكذلك وقع لقاء آخر بين الشيخ بيوض والشهيد عبان رمضان مصحوبا بالسيد ابن خدة (رئيس الحكومة المؤقتة) إن الشيخ بيوض قبل المشاركة في جبهة التحرير الوطني .

إن المبادرة الشجاعة لعبان رمضان هي التي جعلت الميزابيين يزدادون في المبادرة بالاشتراك في الثورة ماليا ، مع جمع المعلومات والسلاح ، وجعلهم مركز العلاقات والربط في الثورة) وبالفعل فقد أصبحت المتاجر الميزابية خلايا الثورة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة التاريخية ، قد بينت جريدة الشعب العدد 7327 ، 18 ماي 1987 ، هذه الحقيقة الناصعة في حديث الاثنين حيث قالت : (فأي مجاهد أو فدائي في أي ناحية ، يتقدم الى دكان ميزابي مستظها بكلمة سر خاصة ، يتلقى على الفور كل المساعدات الممكنة المطلوبة)

وهكذا استطاع الشيخ بيوض أن يدفع أبنائه في العمل الثوري وأن تكون له علاقة عملية مع مفجري ثورتنا المباركة كعبان رمضان الذي يعد من أقطاب ثورة نوفمبر .
وبعد هذا ، تنتقل الى عمله الثوري في الصحراء وميزاب .

2 - الشيخ بيوض وكفاحه التحريري في الصحراء وميزاب : (26)

وليس خافيا ، أن الكفاح المسلح قد ظهر في الصحراء سنة 1956 ، لا سيما وادي ميزاب حيث تكونت عدة خلايا لجهة التحرير الوطني ، وكان ابراهيم بيوض محور هذا النشاط في

(26) أ - أنظر : ابراهيم بيوض ، أعمال في الثورة باختصار في الجزائر والصحراء ، مخطوط بيده . ب - عبد الحميد بن باديس ، وبناء قاعدة لثورة الجزائرية ، لبسام العسيلي ، ص 218 . ج - حمو محمد عيسى النوري ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ، ج 2 ص 68 - 82 . د - أنور الجندي ، الفكر والثقافة في شمال افريقيا ص 144

القرارة التي أصبحت مركزا لجيش التحرير الوطني في تلك الفترة .

لقد وجد هؤلاء المجاهدون في القرارة المساعدة المادية ، وذلك بإوائهم مع الإشارة الى أن الشيخ بيوض قد اتصل في سنة 1956 بأعضاء لجيش التحرير الوطني ، الذين قدموا من بسكرة ، وتعهدوا أن يعملوا معا ، وفعلا فقد تم تجهيز المجاهدين بالأسلحة الموجودة عند المواطنين وذلك بفضل الشيخ بيوض .

وفضلا عن ذلك فقد كانت له اتصالات بالغزال الحاج سليمان الذي أرسله العقيد الزيان قائد الثورة بالصحراء وقد اجتمع السيد الغزال بالشيخ بيوض وكلفه بتنظيم خلايا جبهة التحرير الوطني في القرارة ، وأصبح مسؤولا عن هذه الخلايا حتى الاستقلال .(27)أضف الى هذا ، أنه قد اتصل بقيادة العقيد الحواس ، قائد الولاية السادسة في أواخر 1956 ، عن طريق هؤلاء المجاهدين عثمان ورابع الابيض ، فعملوا مخلصين معا .

وإن حصار القرارة ، من قبل الاستعمار في أواخر جانفي 1957 ، وأخذ الناس بالقوة من ديارهم دليل قاطع على أن أبناء

(27) راجع وثيقة العمل في المصدر السابق للنوري ص81

هذه المدينة قد اندمجوا في جبهة التحرير الوطني ، ثم إن هذه المدينة - القرارة - قد شهدت في يوم 28 - 10 - 1961 حصارا جهنميا بالدبابات والمصفحات وأخرجت المدينة كلها رجالها ونساءها وأولادها الى مركز التجمع لأجل استنطاقهم ، لمدة ثلاثة أيام كاملة .

ومع لم تسلم المدينة بالتفتيش الدقيق من قبل الحركيين ، حيث يقدر عددهم أزيد من 1500 حركي الذين جاءوا من بعيد لضرب الثورة المباركة .

إن هذا الحصار دليل قاطع على العمل الثوري الذي قامت به مدينة القرارة بزعامة الشيخ بيوض ، الذي لعب دورا آخر تمثل في إحباط مؤامرة فصل الصحراء عن الجزائر .

3 - الشيخ بيوض يجهض مؤامرة فصل الصحراء عن الجزائر :

وفي إطار هذا المناخ النضالي ، ينبغي لي أن أشير الى أن الشيخ بيوض كانت له عدة مراسلات سرية بينه وبين جبهة التحرير الوطني وكذلك الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في تونس ، وهذه المراسلات كانت تدور على الأوضاع السياسية السائدة في

الساحة ، لا سيما قضية فصل الصحراء عن الجزائر ، حيث لعب فيها دورا وطنيا ثوريا خالصا ، بفضل كفاحه ودهائه السياسي .

يقول حمو محمد عيسى النوري : (أوفد ديغول الى ميزاب وزير الدفاع قيسار لمساومة الشيخ بيوض ، فاجتمع الوزير بالشيخ بيوض ومعهما رئيس الملحق العسكري الكولونيل أكلان أكلاش والسيد ناصري علي شيخ بلدية غرداية بجبل بوزيزة تحت الرياشة ، وبعد تفاوض الأربعة في وحدة التراب وبفصل الصحراء ، طلب الوزير من الشيخ بيوض بالحاح شديد أن يوافق على الفصل وعلى تأسيس دولة حرة تكون كموريطانيا في قلب الصحراء قاعدتها ميزاب وقال له بالحرف الواحد : (أعلن بالموافقة ، فهذه أربع مليارات ، لتجهيز هيكل الدولة ، وها هي السماعة بيدي أخبر ديغول بهذا في نفس الوقت ، فأجابه الشيخ بيوض بالحرف الواحد : (بما أن الصحراء تضم خليطا من السكان بني ميزاب والشعابنة والمخاليف وغيرهم فالجواب على طلبكم لا يكون الا على طريق استفتاء حر ، فالقضية قضية الجميع . . .)

فقال الكولونيل للوزير : [il Nous ont eu] أي لعب بنا . فهذه

العبرة تفيد قطع كل أمل ورجاء لهم في الفصل(28)

الشيخ بيوض وجهاده بعد الاستقلال :

واعترافا بجهاده المتواصل ونضاله المستميت في الثورة ،
أسندت اليه مصلحة الشؤون الثقافية من قبل جبهة التحرير الوطني
في الحكومة الانتقالية من مارس الى سبتمبر سنة 1962 ، .

وهكذا استمر الشيخ بيوض في الجهاد بعد الاستقلال ، مبينا
طريق الاسلام الصحيح الذي ضحى في سبيله أبناء هذه الأمة
الاسلامية ، بيد أن أعداء العلم الصحيح والحق ، شرعوا يضايقونه
في أمواله ودروسه حتى أدخلوه في السجن قبل جوان 1965 ،
بدافع الانتقام ، ثم أمت أملكه كلها .

وبعد خروجه استمر في جهاد الكلمة الاسلامية ، مبينا الطريق
الصحيح لأئمة الجزائرية والاسلامية في عدة قضايا ثقافية
 واجتماعية ودينية ، فهذه القضايا تحتاج الى الاجتهاد الذي
سنعالجه في الفصل الخامس ورؤية الشيخ بيوض فيها لا سيما
الدينية منها .

(28) أ - نبذة من حياة المزابيين ج 1 ص 19 ب - راجع : الشعب 22 / 01 / 1981 ج -
بسام العيالي ، عبد الحميد بن باديس ، وبناء القاعدة الثورية الجزائرية ، ص 219

الفصل الخامس

الشيخ بيوض وقضايا الساعة

أ - نشاطه الفكري بعد الاستقلال :

يقول الناقد الفرنسي -تبس- الأسلوب هو الرجل ، فمعنى هذا أن الأسلوب يترجم شخصية الإنسان ، نفسيا واجتماعيا وماديا . ومن هنا نقول إن ما كتبه الشيخ بيوض في الدوريات ، يعد قليلا ، نظرا الى مواهبه الفكرية وتمكنه في اللغة ، بحيث يمكن أن يكون كاتباً بارزاً في العالم الإسلامي يقول فيه شبيب أرسلان (1869 - 1946) الذي يعد أمير البيان ما يلي : (وصلتني أعداد جريدة الأمة وطالعت فيها مقالات أفلح وبالرغم مما فيها من تعظيم الباروني أقول : إنه لا يمكن أن يدافع عني أحد بأحسن مما دفع هذا الذي صدق وأفلح ونادرا ما وجدت في العرب كاتباً جمع بين قوة الحجة ومتانة اللغة هذا الجمع الآخذ بمجامع القلوب . (29)

ولنتأمل معا هذا الأسلوب القوي الجذاب عند الشيخ بيوض ، إذ يقول :

(29) نقلا عن محمد علي دبوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر ج5 ص114

(كان الأمير شكيب في خطابه رجلا عمليا ، يستقبل الحقيقة وجها لوجه ، لا رجلا نظريا خياليا يغازل طيفا جميلا في حلم لذيد ، ولم يكن في خطابه يستشير الشعور بضرورة الوحدة ، أو يهيج الإحساس بالحاجة إليها) ورغم هذا الأسلوب البلاغي ، فقد فضل أن يكون رجالا مصلحين عاملين حاملين مشعل الإصلاح قولا وعملا في الحياة العامة ثم في الحياة الثقافية تدريسا وكتابة ووعظا .

أما بعد الإستقلال ، فقد بقي فكره في أصالته ، وهو يرى أنَّ الحضارة الإنسانية يجب أن تؤسس على الدين ، فالدين في نظره يعد غريزة فطرية عند الإنسان الذي يبحث عن أصل هذا الوجود والقوانين المتحكمة فيه ، يقول - رحمه الله - (الدين نظرة أصيلة في البشر ذلك أن الإنسان من حيث هو عاقل مفكر ، ذو نفس تواقة الى المعرفة وروح ظمأى الى استكشاف حقائق ما أحاط به من هذا الكون الواسع مما يحسه ويراه ومما يجد أثره ولا يحسه ولا يراه)⁽³⁰⁾

(30) إبراهيم بيوض ، الفكر الاسلامي ع 1 أغسطس 1964

ومن هنا نقول إن هذه المقالة تتميز بالطابع النقدي القائم على الاستدلال المنطقي والاستشهادات القرآنية الهادفة الى تأسيس حضارة قرآنية : مادية وفكرية وبهذا القرآن نستطيع أن نعالج به كل ظواهر الانحراف الموجود في هذه الحضارة المعاصرة .

أما في سنة 1973 ، فقد شارك الشيخ بيوض - رحمه الله - في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي المنعقد بتيزي وزو ، يوليو 1973 □ حيث ألقى محاضرة قيمة عالية ، تحت عنوان روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في الإسلام وهي تحتوي على 33 صفحة .

إن هذه المحاضرة تعد جامعة مانعة بالنسبة الى إشكالية التشريع الحالي في العالم الاسلامي ، الذي هو في أحوج ما يكون الى تشريع الهي ، ليخرج العالم الاسلامي من تناقضاته القائمة اليوم بين أصالته الثابتة في القرآن الكريم والسنة الشريفة وبين الحضارة الغربية التي لا تزال تبدل وتغير في قوانينها التشريعية وهو يؤكد على أن الدين الإسلامي قد استجاب لجميع مطالب الإنسان دنيوياً وأخروياً .

يقول رحمه الله : إن حق التشريع إنما هو لله وحده ولا مشرع على الحقيقة سواه ولقد صدق وعده ووفي بعهده فوضع لنا شريعة

كاملة صالحة لكل زمان ومكان مهما طال الزمان وتطور بنو الإنسان ، ضامنة لمصالح العباد ، مهتمة بحاجاتهم المتجددة ، بأن وضع في كتابه الكريم القرآن العظيم ، الأصول والأسس والقواعد لحكمه في جميع ما يمارسه البشر في مختلف ميادين الحياة الخاصة والعامة لم يترك ميدانا من ميادين الحياة يعمل فيه البشر ويتحركون في إطاره إلا وأنزل فيه كلاما إما مجملا وإما مفصلا (31) وفي هذا المسار الاسلامي الخالص ، فإن منهجه الإصلاحي بقي ثابتا في أسسه فالشيخ بيوض يؤمن بأن هذا العالم الإنساني متغير ومتطور باطراد مستمر ولكن هذه الظاهرة التطورية لا تخرجه من ثوابته القرآنية التي عالجها في عدة موضوعات ، فمثلا ظاهرة اكتناز المال تعد من الظواهر التي لازمت الفرد منذ تاريخ الحضارات القديمة جدا الى يومنا هذا ، وهكذا نقول إن الجوهر بقي هو هو ، ولكن الشكل قد تطور وتغير.

وفي ضوء هذه النظرية الفاحصة الإصلاحية المعاصرة ، فإن الشيخ بيوض قد دفعه الأمر الى الاجتهاد في بعض قضايا الساعة الحيوية التي سنبينها بعد .

(31) مجلد الفكر الاسلامي سنة 1973 م ص 772

ب - الشيخ بيوض واجتهاداته الدينية في الحساب
الفلكي والإحرام :

لا أستطيع في هذه العجالة الفكرية أن أحدد كل الاجتهادات
الدينية التي عالجها الشيخ بيوض في عدة قضايا عصرية ولكن
سأشير الى قضيتين فقط : الحساب الفلكي والاحرام .

وعلى أية حال ، فإن علماء المسلمين قد اختلفوا في مشروعية
الحساب الفلكي شرعا ، قديما وحديثا بالنسبة الى الصوم
والافطار . ويقول الإمام تقي الدين السبكي المصري المتوفى سنة
756 هـ : (ههنا صورة : هي أن يدل حساب على عدم إمكان
الرؤية ، ويدرك ذلك بمقدمات قطعية ، ويكون في غاية القرب
من الشمس ، ففي هذه الحالة لا يمكن فرض رؤيتنا له حسا لأنه
يستحيل .) (32)

ومعنى هذا أن الإمام تقي الدين يأخذ بالحساب الفلكي إذا
تعارض مع رؤية الهلال حسيا .

، وفي ضوء هذا ، فإن الشيخ بيوض ، يرى أن الحساب الفلكي لا
يخطئ ، ولهذا يعد أحق للعقل وأطمئن للقلب ، وإزالة كل مظاهر

(32) نقلا عن أبي المجد أحمد ، الإجتهد الديني المعاصر ص 150

الاختلاف في الأمة الواحدة ، لا سيما إذا كانت الرؤية الحسية ،
متعذرة لرؤية الهلال صوماً أو إفطاراً بسبب الأحوال الجوية .
وفعلاً ، فقد أخذت وزارة الشؤون الدينية سنة 1970 بفتوى
الشيخ بيوض المعتمدة على الحساب الفلكي في إثبات
المواسم الدينية .

وهنا قضية أخرى تتمثل في الإحرام ، إذ يرى الشيخ بيوض أن
إحرام الحجيج المغاربة الذاهبين بالطائرة الى أداء فريضة الحج ،
على طريق جدة فإن ميقاتهم يكون بمطار جدة في وقت
الإحرام ، وإذا نزل في المطار كان كأحد أهل جدة الساكنين
فيها ، لأن القيام بواجبات الإحرام في الطائرة ، يتطلب الاغتسال
والوضوء والصلاة ولبس لباس الإحرام ثم الاهلال بالحج ، وهذا
يتطلب مشقة كبيرة جداً في الطائرة ، والاسلام يستهدف التيسير
لا التعسير على المسلمين .

ومن هذا المنطلق يقول الشيخ بيوض (ليس على حجاج
الطائرة الذاهبين الى جدة إحرام إلا من ميقات أهل جدة ، ولا
نرى هذا رخصة بل نراه عزيمة فإنه لم تعارض دليلاً معتبراً ولقد
ثبت عن النبي ﷺ أنه أمر الحاجين معه من الصحابة عام حجة

الوداع ، وقد أهلوا بالحج أن يفسخوا حجهم الى العمرة ليتمتعوا بالإحلال رفقا بهم وتيسيرا لهم وتخفيفا من كلفة الإحرام⁽³³⁾ وهكذا يصبح الاجتهاد الديني ، سمة بارزة ، قد تميز به الشيخ بيوض ، وفي هذا المنظور فإن الدكتور عبد المنعم النمر يقول في كتابه المهم - الاجتهاد - ص 373 (والمذهب الإباضي لم يغلق الاجتهاد ، بل إن باباه مفتوح أمام علمائهم ، ومن اجتهاد الشيخ بيوض إفتاؤه بأن ميقات أهل الجزائر في الحج حيث ينزلون من الطائرة في جدة)

غير أن هناك قدرة فكرية أخرى ، أظهرها بكل جدارة وتقدير وإعجاب ، وهي تفسيره للقرآن الكريم ، وهذه الميزة سنلقي عليها بعض الأضواء الكاشفة في الصفحات القادمة .

ج - الشيخ بيوض ومنهجه في تفسير القرآن الكريم :
ومما لا شك فيه أن تفسير القرآن الكريم يعد من العلوم الإسلامية ، الذي يحتاج الى الاجتهاد والتفقه كل التفقه في كل العلوم العربية والعلوم الشرعية إضافة الى العلوم الإنسانية طبيعية واجتماعية .

(33) إبراهيم بيوض، أجوبة وفتاوى ص 17 منشورات دار الدعوة ، ليبيا

وعلى هذا ، فتفسير القرآن الكريم يعد أعلى العلوم قمة وتفقهها ورسوخا في الشريعة الإسلامية .

ومن هذا المنطلق الإسلامي نقول : ما هي الخصائص العامة التي يتميز بها الشيخ بيوض في تفسيره للقرآن الكريم ؟
الواقع أن منهجه في التفسير لا يختلف عن المدرسة الإصلاحية العبدوية والباديسية في التفسير ، فهذه المدرسة اعتمدت على تربية العقيدة التي تؤخذ من القرآن الكريم ، وذلك بتطهير العقيدة من البدع والخرافات وغرس فيها أخلاق القرآن عقيدة وسلوكا ، قولا وعملا واجتماعيا .

وعلى أية حال ، فإن الشيخ بيوض قد افتتح درس تفسير القرآن الكريم في غرة محرم سنة 1353 هـ بعد أن أتم تفسير جزء عم ثم اختتمه يوم 25 ربيع الثاني سنة 1400 هـ الموافق لـ 12 فيفري 1980 ، . وأقيم له مهرجان قرآني عظيم للختم يوم 23 ماي 1980 تحت عنوان تفسيره في رحاب القرآن .

وأيا كان الأمر فإن تفسير الشيخ بيوض للقرآن الكريم ، يتميز بالطابع العام الذي يعالج فيه الظواهر الاجتماعية نفسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا بأخلاق القرآن الكريم .

ومن هنا نجد الشيخ بيوض لا يركز كثيراً في منهجه التفسيري على الأبحاث اللغوية نحواً وصرفاً وبلاغة إلا إذا دعت الضرورة لذلك لأن الحاضرين لهذه الدروس متفاوتون في درجة ثقافتهم الفكرية واللغوية بحيث نجد في هؤلاء الحاضرين الأستاذ والمعلم والطالب والمراهق والفلاح والتاجر . . . الخ

وفضلاً عن ذلك فإن الشيخ بيوض قد يربط بعض الآيات القرآنية بالأبحاث العلمية وإعجاز القرآن فيها .

فالقرآن الكريم في نظره جاء هادياً للبشرية كلها قبل كل شيء . ومن هنا نلاحظ جانب الترهيب والترغيب في تفسيره معتمداً على الفلسفة التربوية الإسلامية القائمة على القرآن والحديث الشريف وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح .

أما عن منهجه فيقول الشيخ بيوض - رحمه الله تعالى :
(أما إعداد درس التفسير فإني أقرأ الآية وأفكر فيها . . . وأقرأ تفسير الآيات من المنار ، أقرأه يامعان ، وأرجع إلى بعض التفاسير كروح المعاني للألوسي ، والتفسير الكبير للرازي ، والتيسير للشيخ أطفيش ، وتحت ظلال القرآن لسيد قطب . . . ومع مطالعتي لهذه المراجع فإن الله سبحانه وتعالى يفتح علي في التفسير بأشياء كثيرة يلهمني إياها وأحس في وقت الدرس بقوة فكرية وانفعال لا

أكون عليها في الأحوال العادية، وغرضي من تفسير القرآن هو تربية الناس بالقرآن وتثقيفهم ووعظهم ومعالجة أمراض النفوس كلها بالقرآن فهو شفاء لها، قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (34)

وفي هذا السياق المنهجي لا يسعنا إلا أن نورد بعض نماذج من هذا التفسير .

يقول الشيخ بيوض - رحمه الله - في تفسيره لظاهرة الزنا : (ثم إن الله تعالى لما حرم الزنا سماه فاحشة ونهى عن الاقتراب منه فقال جل من قائل ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الاسراء : 32) والفاحشة في عرف القرآن تستعمل في الذنب الكبير الذي عظم ضرره واتسع خطره لأن الفحش في اللغة فيه معنى الاتساع ما كان ضرره يمس جهات مختلفة وكثيرة فكبائر الذنوب ، تسمى في عرف القرآن فواحش ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾ ثم زاد فقال في حقه ﴿وساء سبيلًا﴾ وقرر له أحكامه السابقة ، الحدود في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة) (35) وهكذا نستطيع أن نلاحظ أن

(34) حديث مع الصحافة الوطنية سنة 1980م نقلا عن جريدة الشعب 25 / 5 / 1986

(35) في رحاب القرآن ، ص38

هناك وجه الاتفاق في المدرسة الإصلاحية ، ولعل أكبر دليل على ذلك تفسير الآية القرآنية : ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ (الاسراء : 32) عند الإمام محمد قطب وابن باديس .

يقول محمد قطب : (والقرآن يحذر من مجرد مقارنة الزنا ، وهي مبالغة في التحرز ، لأن الزنا تدفع اليه شهوة عنيفة ، فالتحرز من المقاربة أضمن ، فعند المقاربة من أسبابه لا يكره ، هناك ضمان والإسلام يوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع)⁽³⁶⁾ .
أما الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله فيقول : (في الزنى إراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها ، فلو كان منها ولد لكان مقطوع الصلة ساقط الحق ، فمن تسبب في وجوده على هذه الحالة فكأنه قتله ، ولهذا بعد ما نهى عن قتل الأولاد نهى عن الزنى الذي هو كقتلهم لأنه سبب لوجودهم غير مشروع)⁽³⁷⁾

وأياً كان الامر ، فالرؤية الإصلاحية تبقى ثابتة في منهجها الهادف الى معالجة النفوس الاسلامية قرآنياً ، حتى تستقيم في سيرتها وتهتدي بأخلاق القرآن الكريم ، فهذا لا يتأتى الا

(36) في ظلال القرآن الجزء 15 ط 5 ص 30

(37) مجالس التدبير من كلام الحكيم الخبير ص 127 ط 1982

بالمجاهدة وتطهير القلب من الأخلاق الوضيعة ، وإذا حققنا هذه القيم فإن جوارحنا ستدفعنا حتما الى العمل الصالح في هذا الوجود لإصلاحه .

تلكم هي الصورة الواضحة المشرفة للفكر الإصلاحى عند الشيخ بيوض ، حيث وضعناها في إطارها الشامل إسلاميا وجزائريا .
فجهاده الإسلامى هذا ، قد تجسم في مهرجان وطنى عظيم أقيم له في مسقط رأسه - بالقرارة - يوم 23 - 5 - 1980 اعترافا بنضاله الدائم المستميت في سبيل القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والوطنية .

وخلال هذا المهرجان القرآنى ، ذكر الشيخ بيوض الحاضرين بالمقولات الإسلامية التى انطلق منها الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - حيث قال في ختم تفسير القرآن بقسنطينة ما يلي :
(إنى سأقصر حياتى على الإسلام والقرآن ، ولغة الإسلام والقرآن) (38)

وهكذا استطاع الشيخ بيوض أن يبلور أصالة الإسلام الذى طبع الشخصية الجزائرية دينا ووطنيا ولغويا وتاريخيا وبين أن الثورة

الجزائرية لم تقم إلا بفضل المبادئ الثلاثة ، التي وضعها ابن باديس
الجزائر وطننا ، والاسلام ديننا ، والعربية لغتنا .

وعلى أية حال فإن جريدة الشعب (39) قد علقت على هذا
المهرجان قائلة (إنه مهرجان نفخ فيه القرآن من روحه وارتسمت
على وجوه القادمين والمقيمين إمارات العزم والتصميم على تحدي
الصعاب في سبيل عروبة الجزائر وإسلامها ومن أجل المحافظة
على مقومات شخصيتنا)(39)

وبعد هذا الجهاد الاسلامي الذي خاضه الشيخ بيوض في عدة
واجهات ، فلا مناص لنا إلا أن نؤمن بأن قضاء الله وقدره أعدل
وأقوى من كل شيء . فلا مرد له ، حيث سعدت روح شيخنا الى
ربها مساء الإربعاء 8 ربيع الأول سنة 1401 الموافق ليوم 14 جانفي
1981 ، فشيّع جسمانه في موكب خاشع ، إذ حضرته السلطات العليا
والمحلية : علماء ووزراء ثم إن رسالة التعزية التي أرسلها سيادة
الرئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد الى عائلته والعلماء فما هي
الا دليل حاسم على الاحترام والتقدير لرجال العلم والتضحية
والجهاد . رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جنانه آمين .

الخاتمة

وفي ضوء ما أوضحناه ، من تاريخ الفكر الاصلاحى الجزائرى المرتبط بأحد أعلامه الإمام ابراهيم بيوض ، الذى يعد من الدعائم الأساسية الأصلية فى تاريخ النهضة الجزائرية المعاصرة ، نظرا إلى تاريخه الطويل الحافل بالجهاد الإسلامى المستميت فى سبيل إحياء أصالة الإسلام ومواجهة التيارات الفكرية الانشطارية مواجهة اسلامية .

وإني لأعتقد بأن هذا البحث سيبدد السحب المكثفة عن بعض أعلامنا الذين لا يزالون فى طي النسيان ، وهذا العمل الفكرى لا يقوم به الا أبناء الجزائر كافة ، حتى نربط المسيرة الثورية الأصلية الشاملة بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

فالأمة التى تنسى تاريخ أعلامها ومجاهديها ستصاب بانقصاص هويتها وقد تسنى مصيرها ووجودها كليا .

لقد صدق الشاعر الثائر رمضان حمود لما قال - إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها بيدها وألقتها فى يد غيرها .

وغني عن البيان أن الدين الإسلامي ما يزال هو الإطار الوحيد الذي انصهرت فيه جميع الأنشطة الحضارية في وادي ميزاب الذي ترك بصمات قوية في حضارتنا الجزائرية الصحراوية .

وهذه الحضارة لا تنسب الى هذا أو ذاك بقدر ما تعود الى التفاعل الإسلامي والعمل الخالص ، ومن قال بغير هذا ، فقد كذب ، لأن الحضارة هي العمل ، والوعي والتربية والإبداع .

وإذا أردنا أن ندفع مرة أخرى هذه العجالة الحضارية الاسلامية فلا بد أن نتقيد بالقرآن الكريم والسنة الشريفة قولاً وعملاً وسلوكاً . وإلا أصبحنا خارجين عن جادة الاسلام الذي أخرجنا من جاهلية الكفر ، قديماً وحاضراً .

ولنتدبر معاً ، بقلب سليم ، وعقل متدبر واع قول الرسول ﷺ في قوله هذا ، في حجة الوداع حيث قال : فلا ترجعن بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض . فإنني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله وسنة نبيه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس ! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على

عجمي فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! قالوا :
نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

وأخيرا ، فأنا راض كل الرضا بهذا العمل المتواضع الذي قدمته
اليوم لشبابنا الطموح . فإن أصبت الهدف ، فهذا بفضل ربي ، وإن
عدلت عنه فهذا دليل اجتهادي .

ويقول ابن الأثير : (وليس الفاضل من لا يغلط ، بل الفاضل
من يعد غلظه)

وختاما أستعين بقوله تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحُ مَا
اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
(هود : 88)

أعوش بكير بن سعيد

غرداية 19 - 5 1987

المصادر

- 1 - ابن خلدون ، المقدمة ، دار التونسية 1985 2 - أبو الصفا عبد الكريم - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار البعث قسنطينة 1981
- 3 - أبو المجد ، الاجتهاد الديني ، دار البعث ، قسنطينة 1984 .
- 4 - بسام العسلي ، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية ، دار النفائس ، لبنان ، 1984 .
- 5 - بيوض ابراهيم ، في رحاب القرآن ، العريية ، غرداية ، 1980 .
- بيوض ابراهيم ، أجوبة وفتاوى ، دار الدعوة ، ليبيا ، 1971
- بيوض ابراهيم ، أعمال في الثورة ، مخطوط
- 6 - حمو عيسى النوري ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ، ج 1 ، 2 ، 3 ، دار الكروان ، باريس .
- 7 - دبوز محمد علي ، أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج 1 ، قسنطينة 1974
- دبوز محمد علي ، أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج 2 ، قسنطينة ، 1976

دبوز محمد علي أعلام الاصلاح في الجزائر ج4 قسنطينة 1980
دبوز محمد علي أعلام الاصلاح في الجزائر ج 5 قسنطينة

1982

دبوز محمد علي نهضة الجزائر الحديثة ج 2 المطبعة
العربية، الجزائر، 1971

8 - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، ج3، معهد
البحوث، القاهرة، 1977 .

9 - سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت، ط5، 1967

10 - عبد المنعم النمر الاجتهاد، دار الشروق، لبنان، 1986

11 - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، قسنطينة،

1982

12 - فاروق النبهان، المدخل للتشريع الاسلامي، دار القلم،

لبنان، 1967 .

13 - محمد ناصر، رمضان حمود الشاعر الثائر، العربية،

غرداية، 1978

14 - الميثاق الوطني 1986

ملاحظة : هناك عدة مجلات وجرائد ذكرت بمحلها في

التعليق .

الفهرس

الإهداء 9

مقدمة 11

الفصل الأول

عصر ابراهيم بن عمر بيوض 17

أ - الحياة السياسية في العالم الإسلامي والجزائر 17

ب - الحياة الاجتماعية والدينية في العالم

الإسلامي والجزائر 26

الفصل الثاني

ابراهيم بيوض : نشأته وتعلمه 30

أ - موله ونشأته الأولى 30

ب - دراسته الابتدائية والثانوية 31

ج - ابراهيم بيوض وأسفاره الأولى 34

الفصل الثالث

ابراهيم بيوض وجهاده الإصلاحي 37

أ - ابراهيم بيوض وجهاده التربوي 37

ب - ابراهيم بيوض والتعليم العربي 41

ج - الشيخ بيوض وجهاده الإصلاحي دينيا واجتماعيا 46

د - ابراهيم بيوض والقضايا الاجتماعية السائدة في

وادي ميزاب 53

هـ - الشيخ بيوض وأثره الإصلاح في العلاقات

الاجتماعية والإنسانية في وادي ميزاب 59

الفصل الرابع

ابراهيم بيوض وجهاده السياسي 65

أ - ابراهيم بيوض وجهاده السياسي قبل ثورة أول نوفمبر

1954 جزائريا وإسلاميا 65

ب - الشيخ بيوض وجهاده خلال الثورة التحريرية 75

1 - أول اتصال بين الشيخ بيوض وعبان رمضان 78

2 - الشيخ بيوض وكفاحه التحريري في

الصحراء وميزاب 79

3 - الشيخ بيوض يجهض مؤامرة فصل

الصحراء عن الجزائر 81

4 - الشيخ بيوض وجهاده بعد الاستقلال 83

الفصل الخامس

الشيخ بيوض وقضايا الساعة 84

أ - نشاطه الفكري بعد الاستقلال 84

88	ب - الشيخ بيوض واجتهاداته الدينية
90	ج - الشيخ بيوض ومنهجه في تفسير القرآن الكريم
97	الخاتمة
100	المصادر
102	الفهرس

- 1 - دراسات اسلامية في الأصول الإباضية
- 2 - الإسلام ومدرسة فرويد
- 3 - القرآن ومذهب داروين
- 4 - أضواء على الأخلاق الإسلامية والمعاصرة
- 5 - دراسات تحليلية في موضوعات فلسفية
- 6 - الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية
- 7 - إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف

المطبعة العربية

7 نهج طالبي أحمد غرداية

الايداع القانوني رقم : 40 ☆ 12 / 1987

الرخصة الوزارية - رقم 87/292

التاريخ - 87-5-24

